مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الرَّابِعَة)

مِنْ مَادَّةِ

سِيرَة النَّبِيِّ ﷺ

[الْعَهْد الْمَكِّي]

جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مُوجَزٌ عَنْ تَارِيخِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ

فَهَذَا عَرْضٌ مُوجَزٌ لِتَارِيخِ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، لِتَارِيخِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ نَاحِيَةِ جُغْرَافِيَّةِ بِلَادِهِمْ، وَأَحْوَالِهِمْ الِاجْتِمَاعِيَّةِ، وَالْأَخْلَاقِيَّةِ، وَالسِّيَاسِيَّةِ، مَعَ مَعْرِفَةِ ذَلِكَ؛ مَا يَجْعَلُ الدَّارِسَ لِلسِّيرَةِ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ هَذِهِ الْبِلَادِ وَسُكَّانِهَا الَّذِينَ اخْتِيرَ مِنْهُمْ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَالَّذِي أُرْسِلَ بِأَعْظَمِ رِسَالَةٍ إِلَهِيَّةٍ، وَالَّتِي أَحْدَثَتْ أَعْظَمَ إِصْلَاحٍ فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ لَمْ تُحْدِثْهُ رِسَالَةٌ مِنَ الرِّسَالَاتِ.

◉ حُدُودُ شِبْهِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ:

شِبْهُ جَزِيرَةُ الْعَرَبِ: عِبَارَةٌ عَنْ هَذَا الْجُزْءِ الَّذِي يَقَعُ فِي الْجَنُوبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ قَارَّةِ آسْيَا، وَهِيَ أَكْبَرُ جَزِيرَةٍ فِي الْعَالَمِ، وَيَبْلُغُ مُتَوَسِّطُ عَرْضِهَا: سَبْعَ مِئَةِ مِيلٍ، وَمُنْتَهَىٰ طُولِهَا يَبْلُغُ: أَلْفًا وَمِئَةَ مِيلٍ، وَمِسَاحَتُهَا حَوَالَيْ: أَلْفَ أَلْفِ مِيلٍ مُرَبَّعٍ.

يَحُدُّ شِبْهَ الْجَزِيرَةِ:

مِنَ الْجَنُوبِ: الْبَحْرُ الْعَرَبِيُّ وَهُوَ الْمُحِيطُ الْهِنْدِيُّ.

وَمِنَ الشَّرْقِ: الْخَلِيجُ الْعَرَبِيُّ وَنَهْرُ الْفُرَاتِ.

وَمِنَ الْغَرْبِ: الْبَحْرُ الْأَحْمَرُ، وَبَرْزَخُ السُّوَيْسِ -قَنَاةِ السُّوَيْسِ الْآنَ-.

وَمِنَ الشَّمَالِ: الْبَحْرُ الْأَبْيَضُ الْمُتَوَسِّطُ.

وَهَكَذَا نَرَىٰ أَنَّهَا تُحِيطُ بِهَا الْبِحَارُ وَالْأَنْهَارُ مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِيهَا إِلَّا جُزْءًا قَلِيلًا مِنْهَا؛ وَلِهَذَا يُطْلِقُ عَلَيْهَا الْبَعْضُ -تَجَوُّزًا-: «جَزِيرَةَ الْعَرَبِ»، لَا شِبْهَ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَهَذَا التَّحْدِيدُ الَّذِي قَالَ بِهِ «الْهَمْذَانِيُّ»، يُدْخِلُ بِلَادَ الشَّامِ كُلَّهَا، وَالْبَادِيَةَ الَّتِي بَيْنَ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ، وَبَادِيَةَ سَيْنَاءَ؛ فَيُدْخِلُ هَذَا كُلَّهُ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَهُوَ يَتَّفِقُ وَمَا ذَكَرَهُ «هِيرُدُوتُ» الْمُؤَرِّخُ الْقَدِيمُ، غَيْرَ أَنَّهُ اعْتَبَرَ النِّيلَ الْحَدَّ الْغَرْبِيَّ لِلْقَارَّةِ، وَجَعَلَ صَحْرَاءَ مِصْرَ الشَّرْقِيَّةَ -كَمَا هِيَ مَعْرُوفَةٌ الْآنَ- جَعَلَهَا مِنَ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

تَحْتَلُّ شِبْهُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ مَوْقِعًا هَامًّا؛ لِأَنَّهَا تَرْبِطُ بَيْنَ قَارَّاتٍ ثَلَاثَةٍ: (آسْيَا - وَأَفْرِيقْيَا - وَأُورُبَّا).

أَمَّا مِنَ النَّاحِيَةِ الْحَضَارِيَّةِ لِلْعَالَمِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ: فَهِيَ تَرْبِطُ بَيْنَ الْحَضَارَتَيْنِ السَّائِدَتَيْنِ حِينَئِذٍ؛ الْحَضَارَةِ الرُّومَانِيَّةِ، وَالْحَضَارَةِ الْفَارِسِيَّةِ.

www.menhag-un.com

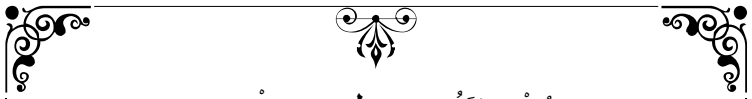

جُغْرَافِيَّةُ شِبْهِ الجَزِيرَةِ الْعَرَبِ

وَشِبْهُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ أَرْضٌ صَحْرَاوِيَّةٌ تَتَخَلَّلُهَا جِبَالٌ كَثِيرَةٌ تَخْتَلِفُ ارْتِفَاعًا وَطُولًا وَعَرْضًا، وَلَعَلَّ أَعْظَمَهَا جِبَالُ السَّرَاةِ الْمُمْتَدَّةُ مِنْ سُورِيَّا وَفَلَسْطِينَ شَمَالًا، إِلَىٰ بِلَادِ الْيَمَنِ جَنُوبًا، وَهِيَ تُوَازِي سَاحِلَ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ، وَتَقْتَرِبُ مِنْهُ فِي مَوَاقِعَ عَدِيدَةٍ، وَيَتَرَاوَحُ ارْتِفَاعُ هَذِهِ الْجِبَالِ مَا بَيْنَ عَشْرَةِ آلَافِ قَدَمٍ وَثَلَاثَةِ آلَافِ قَدَمٍ؛ وَالْقَدَمُ ثَلَاثُونَ سَنْتِيمِتْرًا؛ فَتَبْلُغُ قِمَمُهَا فِي الشَّمَالِ فِي مَدْيَنَ، وَفِي الْجَنُوبِ فِي الْيَمَنِ وَعَسِيرٍ حَوَالَيْ عَشْرَةِ آلَافِ قَدَمٍ، بَيْنَمَا تَكُونُ خَلْفَ مَكَّةَ ثَمَانِيَةَ آلَافِ قَدَمٍ، وَقُرْبَ الْمَدِينَةِ ثَلَاثَةَ آلَافِ قَدَمٍ، وَتَحْصُرُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ سَاحِلِ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ أَرْضًا سَهْلَةً ضَيِّقَةً تُعْرَفُ بِتِهَامَةَ، تُشْرِفُ عَلَيْهَا هَذِهِ الْمُرْتَفِعَاتُ، وَتَنْحَدِرُ إِلَيْهَا انْحِدَارًا شَدِيدًا قَصِيرًا، وَسَوَاحِلُهَا الْمُهَيْمِنَةُ عَلَىٰ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ يَصْعُبُ رُسُوُّ السُّفُنِ فِيهَا؛ لِخُلُوِّهَا مِنَ الْمَرَافِئِ -أَي: الْمَوَانِي الصَّالِحَةِ-، وَلِوُجُودِ الشُّعَبِ الْمُرْجَانِيَّةِ الَّتِي تَمْتَدُّ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ بَعِيدًا فِي الْبَحْرِ، وَتُوجَدُ جِبَالٌ أُخْرَىٰ فِي نَجْدٍ، وَفِي الْأَقْسَامِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْ شِبْهِ الْجَزِيرَةِ، وَهِيَ مُتَفَاوِتَةُ الِارْتِفَاعِ.

بِلَادُ الْعَرَبِ هِيَ شِبْهُ جَزِيرَةٍ، تَحُدُّهَا الْبِحَارُ مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتٍ: الْبَحْرُ الْأَحْمَرُ مِنَ الْغَرْبِ، وَالْخَلِيجُ الْعَرَبِيُّ مِنَ الشَّرْقِ، وَبَحْرُ الْعَرَبِ مِنَ الْجَنُوبِ، وَقَدْ تُسَمَّىٰ

جَزِيرَةَ الْعَرَبِ مِنْ بَابِ التَّغْلِيبِ، وَهِيَ تَقَعُ فِي الْجُزْءِ الْجَنُوبِيِّ الْغَرْبِيِّ مِنْ قَارَّةِ آسْيَا، وَتُمَثِّلُ رَابِطًا بَيْنَ قَارَّاتِ الْعَالَمِ الْقَدِيمَةِ: (آسْيَا - وَإِفْرِيقِيَّةَ - وَأُورُبَّا).

وَهَذَا الْمَوْقِعُ أَكْسَبَهَا أَهَمِّيَّةً تِجَارِيَّةً وَسِيَاسِيَّةً؛ حَيْثُ تَمُرُّ بِهَا أَشْهَرُ الطُّرُقِ التِّجَارِيَّةِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي تَرْبِطُ آسْيَا مَعَ دُوَلِ حَوْضِ الْبَحْرِ الْأَبْيَضِ الْمُتَوَسِّطِ.

الْجَزِيرَةُ الْعَرَبِيَّةُ تُمَثِّلُ مَعَ امْتِدَادِهَا فِي بِلَادِ الرَّافِدَيْنِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ أَرْضَ النُّبُوَّاتِ، وَمَهْدَ الْحَضَارَاتِ.

◉ وَتَنْقَسِمُ جُغْرَافِيَّتُهُ بِلَادِ الْعَرَبِ إِلَى أَقْسَامٍ:

تِهَامَةُ: وَهِيَ الشَّرِيطُ السَّاحِلِيُّ عَلَىٰ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ الْمُمْتَدُّ مِنْ خَلِيجِ الْعَقَبَةِ فِي الشَّمَالِ، حَتَّىٰ بَابِ الْمَنْدَبِ فِي الْيَمَنِ جَنُوبًا، وَيَضِيقُ وَيَتَّسِعُ بِحَسَبِ قُرْبِ جِبَالِ السَّرَوَاتِ مِنَ الْبَحْرِ أَوْ بُعْدِهَا.

مِنْ أَقْسَامِهَا سِوَىٰ تِهَامَةَ:

الْحِجَازُ: وَهِيَ سِلْسِلَةٌ مِنَ الْمُرْتَفِعَاتِ الْفَاصِلَةِ بَيْنَ تِهَامَةَ وَنَجْدٍ، وَهِيَ مُوَازِيَةٌ لِتِهَامَةَ مِنَ الشَّرْقِ، وَتُسَمَّىٰ: جِبَالَ السَّرَوَاتِ، وَاسْمُ الْحِجَازِ يَشْمَلُ الْجِبَالَ وَالسَّاحِلَ، خَاصَّةً مِنَ اللَّيْثِ جَنُوبًا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ وَيَنْبُعَ شَمَالًا.

تِهَامَةُ وَالْحِجَازُ وَنَجْدٌ.

وَنَجْدٌ: هِيَ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ شَمَالَ جِبَالِ السَّرَوَاتِ، وَتَأْخُذُ فِي الِارْتِفَاعِ شَمَالًا إِلَىٰ صَحْرَاءِ النُّفُودِ الْكَبِيرِ، وَشَرْقًا إِلَىٰ صَحْرَاءِ الدَّهْنَاءِ الْفَاصِلَةِ بَيْنَ نَجْدٍ

وَالْأَحْسَاءِ، وَيَقَعُ فِي قَلْبِهَا مَدِينَةُ الرِّيَاضِ، وَفِي طَرَفِهَا الشَّمَالِيِّ الْغَرْبِيِّ مَنْطِقَةُ الْقَصِيمِ، وَفِي جَنُوبِهَا وَادِي الدَّوَاسِرِ وَالْأَفْلَاجُ وَالْخَرْجُ، وَفِي شَمَالِهَا حَائِلُ.

تِهَامَةُ وَالْحِجَازُ، وَنَجْدٌ، وَالْأَحْسَاءُ، وَالْبَحْرَيْنِ، وَمَا جَاوَرَهَا عَلَىٰ الْخَلِيجِ الْعَرَبِيِّ إِلَىٰ الْكُوَيْتِ فِي رَأْسِ الْخَلِيجِ.

تَنْقَسِمُ -أَيْضًا- إِلَىٰ الْيَمَنِ: وَتَشْمَلُ الْجُزْءَ الْجَنُوبِيَّ مِنْ جِبَالِ السَّرَوَاتِ وَمَا يُقَابِلُهَا مِنْ سَهْلِ تِهَامَةَ إِلَىٰ عَدَنٍ.

وَحَضْرَمَوْتُ، وَعُمَانُ، وَإِمَارَاتُ الْخَلِيجِ الْعَرَبِيِّ، وَهِيَ دَوْلَةُ الْإِمَارَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُتَّحِدَةِ وَقَطَرُ.

صَحْرَاءُ الرُّبْعِ الْخَالِي فِي الْجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ مِنَ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَلِصَحْرَاءِ الرُّبْعِ الْخَالِي امْتِدَادَانِ إِلَىٰ الشَّمَالِ؛ **أَحَدُهُمَا**: صَحْرَاءُ النُّفُودِ غَرْبِيَّ الرِّيَاضِ، **وَالثَّانِي**: صَحْرَاءُ الدَّهْنَاءِ شَرْقِيَّهَا، وَيُشَكِّلَانِ فِي شَمَالِ الْجَزِيرَةِ: صَحْرَاءَ النُّفُودِ الْكَبِيرِ.

هَذِهِ هِيَ الْأَقْسَامُ الْجُغْرَافِيَّةُ لِبِلَادِ الْعَرَبِ: تِهَامَةُ، وَالْحِجَازُ، وَنَجْدٌ، وَالْأَحْسَاءُ، وَالْبَحْرَيْنِ، وَالْيَمَنُ، وَحَضْرَمَوْتُ، وَعُمَانُ، وَإِمَارَاتُ الْخَلِيجِ الْعَرَبِيِّ، وَصَحْرَاءُ الرُّبْعِ الْخَالِي فِي الْجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ مِنَ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

◉ مُنَاخُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَعَمَلُ أَهْلِهَا:

وَأَمَّا مُنَاخُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ: فَصَحْرَاوِيٌّ، مَا عَدَا الْمُرْتَفِعَاتِ الَّتِي يَعْتَدِلُ جَوُّهَا صَيْفًا، وَالْأَمْطَارُ قَلِيلَةٌ لَكِنَّهَا عَلَىٰ الْمُرْتَفِعَاتِ أَكْثَرُ.

وَيُوجَدُ بِهَا عَدَدٌ مِنَ الْوَاحَاتِ الَّتِي اشْتَغَلَ أَهْلُهَا بِالزِّرَاعَةِ، أَمَّا الْغَالِبِيَّةُ مِنَ السُّكَّانِ فَكَانُوا فِي زَمَنِ الْبِعْثَةِ يَعْمَلُونَ فِي الرَّعْيِ، وَيَنْتَقِلُونَ مِنْ مَكَانٍ إِلَىٰ آخَرَ حَسَبَ الْخِصْبِ وَنُزُولِ الْمَطَرِ، وَيَشْتَغِلُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ بِالتِّجَارَةِ، خَاصَّةً أَهْلَ مَكَّةَ وَالْيَمَنِ، وَحَوَاضِرِ الْخَلِيجِ.

وَقَدِ امْتَنَّ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ قُرَيْشٍ بِالْأَمْنِ، وَبِرِحْلَتَيِ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ الَّتِي يَرْحَلُونَهُمَا فِي التِّجَارَةِ وَطَلَبِ الرِّزْقِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ [قريش: ١- ٤].

وَتُعْتَبَرُ الْجَزِيرَةُ الْعَرَبِيَّةُ مَوْطِنَ الشُّعُوبِ السَّامِيَّةِ، وَقَامَتْ بِهَا عَدَدٌ مِنَ الدُّوَلِ وَالْحَوَاضِرِ الْقَدِيمَةِ، مِثْلُ: عَادٍ قَوْمِ هُودٍ بِالْأَحْقَافِ، وَمِثْلُ: ثَمُودَ قَوْمِ صَالِحٍ بِالْحِجَازِ وَشَمَالِ الْجَزِيرَةِ، وَمِثْلُ: أَهْلِ مَدْيَنَ قَوْمِ شُعَيْبٍ فِي الشَّمَالِ الْغَرْبِيِّ بِالْجَزِيرَةِ، وَمِثْلَ: دُوَلِ مَعِينٍ وَسَبَأٍ وَحِمْيَرٍ فِي الْيَمَنِ، وَدَوْلَةِ كِنْدَةَ فِي نَجْدٍ، كَمَا قَامَتْ فِي مَكَّةَ بَعْدَ بِنَاءِ إِبْرَاهِيمَ وَابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ الْكَعْبَةَ الْمُشَرَّفَةَ إِمَارَاتُ الْجَرَاهِمَةِ، ثُمَّ خُزَاعَةُ، ثُمَّ قُرَيْشٌ حِينَ جَمَعَهُمْ قُصَيُّ بْنُ كِلَابٍ.

◉ التَّقْسِيمُ الْجُغْرَافِيُّ لِشِبْهِ الْجَزِيرَةُ الْعَرَبِيَّةُ:

وَلَيْسَ بَيْنَ أَشْبَاهُ الْجُزُرِ شِبْهُ جَزِيرَةٍ تُنِيفُ عَلَىٰ شِبْهِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ فِي الْمِسَاحَةِ، فَهِيَ أَكْبَرُ شِبْهِ جَزِيرَةٍ فِي الْعَالَمِ، وَيُطْلِقُ عُلَمَاءُ الْعَرَبِ عَلَيْهَا -تَجَوُّزًا-

اسْمَ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، تُحِيطُ بِهَا الْمِيَاهُ مِنْ أَطْرَافِهَا الثَّلَاثَةِ، وَهِيَ إِقْلِيمٌ فِي الْجَنُوبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ آسْيَا يَحُدُّهُ مِنَ الشَّرْقِ: الْخَلِيجُ الْعَرَبِيُّ، وَمِنَ الْجَنُوبِ: الْمُحِيطُ الْهِنْدِيُّ، أَمَّا حَدُّهُ الْغَرْبِيُّ: فَهُوَ الْبَحْرُ الْأَحْمَرُ -كَمَا يُسَمَّىٰ فِي الْخَارِطَاتِ الْحَدِيثَةِ-؛ الْبَحْرُ الْأَحْمَرُ مَعْرُوفٌ بِاسْمِ الْخَلِيجِ الْعَرَبِيِّ فِي الْخَارِطَاتِ الْيُونَانِيَّةِ وَاللَّاتِينِيَّةِ، وَبِبَحْرِ الْقُلْزُمِ فِي الْكُتُبِ الْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ؛ وَحَدُّهُ الشَّمَالِيُّ خَطٌّ وَهْمِيٌّ يَمْتَدُّ فِي اصْطِلَاحِ الْعُلَمَاءِ الْعَرَبِ مِنْ خَلِيجِ الْعَقَبَةِ حَتَّىٰ مَصَبِّ شَطِّ الْعَرَبِ فِي الْخَلِيجِ الْعَرَبِيِّ.

قَسَّمَ الْإِسْلَامِيُّونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ عَلَىٰ خَمْسَةِ أَقْسَامٍ:

الْحِجَازُ، وَالْحِجَازُ: يَمْتَدُّ مِنْ أَيْلَةَ، أَيْ مِنَ الْعَقَبَةِ إِلَىٰ الْيَمَنِ، وَسُمِّيَ حِجَازًا فِيمَا يَقُولُونَ؛ لِأَنَّهُ سِلْسِلَةُ جِبَالٍ تَفْصِلُ تِهَامَةَ، وَهِيَ الْأَرْضُ الْمُنْخَفِضَةُ عَلَىٰ طُولِ شَاطِئِ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ تَفْصِلُ تِهَامَةَ عَنْ نَجْدٍ.

الْقِسْمُ الثَّانِي تِهَامَةُ، وَقَدْ مَرَّ وَصْفُهَا، **وَالْيَمَنُ، وَنَجْدٌ** وَهُوَ الْجُزْءُ الْمُرْتَفِعُ الَّذِي يَمْتَدُّ مِنْ جِبَالِ الْحِجَازِ، وَيَسِيرُ شَرْقًا إِلَىٰ صَحْرَاءِ الْبَحْرَيْنِ، وَهُوَ مُرْتَفِعٌ فَسِيحٌ فِيهِ صَحْرَوَاتٌ وَجِبَالٌ.

وَالْعَرُوضُ، وَهِيَ تَتَّصِلُ بِالْبَحْرَيْنِ شَرْقًا وَالْحِجَازِ غَرْبًا، وَسُمِّيَتْ بِالْعَرُوضِ؛ لِاعْتِرَاضِهَا بَيْنَ الْيَمَنِ وَنَجْدٍ، وَتُسَمَّىٰ بِالْيَمَامَةِ أَيْضًا.

www.menhag-un.com

سِمَاتُ الشَّخْصِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَتَأْثِيرُ الطَّبِيعَةِ الْجُغْرَافِيَّةِ عَلَيْهَا

تَغَلَّبَتِ الصَّحْرَاوِيَّةُ عَلَىٰ شِبْهِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَظَهَرَ الْجَفَافُ لِعَوَامِلَ طَبِيعِيَّةٍ، وَحَوَادِثَ جُيُولُوجِيَّةٍ، وَبِسَبَبِ الْمَوْقِعِ الْجُغْرَافِيِّ فَكَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ سَبَبًا فِي قِلَّةِ نُفُوسِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ فِي الْمَاضِي وَفِي الْحَاضِرِ، وَفِي سَبَبِ عَدَمِ نُشُوءِ مُجْتَمَعَاتٍ حَضَارِيَّةٍ، وَحُكُومَاتٍ مَرْكَزِيَّةٍ كَبِيرَةٍ فِيهَا، وَفِي سَبَبِ تَفَشِّي الْبَدَاوَةِ، وَغَلَبَةِ الطَّبِيعَةِ الْأَعْرَابِيَّةِ عَلَىٰ أَهْلِهَا، وَبُرُوزِ رُوحِ الْفَرْدِيَّةِ عِنْدَ أَهْلِهَا، وَتَقَاتُلِ الْقَبَائِلِ بَعْضِهَا مَعَ بَعْضٍ؛ لِذَلِكَ انْحَصَرَتِ الْحَضَارَةُ فِي الْأَمَاكِنِ الْمَمْطُورَةِ، وَالْأَمَاكِنِ الَّتِي خَرَجَتْ فِيهَا الْمِيَاهُ الْجَوْفِيَّةُ عُيُونًا وَيَنَابِيعَ، أَوْ قَارَبَتِ الْمِيَاهُ فِيهَا سَطْحَ الْأَرْضِ؛ فَأَمْكَنَ حَفْرُ الْآبَارِ فِيهَا.

فَالْحَيَاةُ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ هِيَ هِبَةُ الْمَاءِ؛ فَكَانَتِ الْقَوَافِلُ تَؤُمُّ الْمَاءَ، وَإِلَيْهِ كَانَتِ الطَّبِيعَةُ تَقْذِفُ بِالْأَعْرَابِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، وَكَانُوا لَا يَرْتَبِطُونَ بِالْأَرْضِ ارْتِبَاطَ الْمُزَارِعِ بِأَرْضِهِ؛ فَلَا يَسْتَقِرُّونَ فِي مَكَانٍ إِلَّا إِذَا وَجَدُوا فِيهِ الْكَلَأَ وَالْمَاءَ.

فَإِذَا جَفَّ الْكَلَأُ وَقَلَّ الْمَاءُ ارْتَحَلُوا إِلَىٰ مَوَاضِعَ جَدِيدَةٍ؛ لِذَلِكَ صَارَتْ حَيَاتُهُمْ حَيَاةً قَاسِيَةً، يَتَمَثَّلُ مُجْتَمَعُهُمْ فِي الْقَبِيلَةِ؛ فَالْقَبِيلَةُ هِيَ الْحُكُومَةُ وَالْقَوْمِيَّةُ

فِي نَظَرِ الْبَدَوِيِّ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْحَيَاةُ لَا تَعْرِفُ الرَّاحَةَ وَالِاسْتِقْرَارَ، وَلَا تَعْتَرِفُ إِلَّا بِمَنْطِقِ الْقُوَّةِ، حَيَاةٌ جَلَبَتِ الْمَشَقَّةَ لِأَصْحَابِهَا، وَالْمَشَقَّةَ لِمَنْ يُقِيمُ عَلَىٰ مَقْرُبَةٍ مِنْهُمْ مِنَ الْحَضَرِ؛ فَهُمْ فِي نِزَاعٍ دَائِمٍ فِيمَا بَيْنَهُمْ، ثُمَّ هُمْ فِي نِزَاعٍ مَعَ الْحَضَرِ، وَلَكِنَّ الْعَرَبِيَّ فِي نَاحِيَةٍ أُخْرَىٰ مُخْلِصٌ مُطِيعٌ لِتَقَالِيدِ قَبِيلَتِهِ، كَرِيمٌ يُؤَدِّي وَاجِبَاتِ الضِّيَافَةِ، وَالْمُحَالَفَةِ فِي الْحُرُوبِ، كَمَا يُؤَدِّي وَجِبَاتِ الصَّدَاقَةِ، مُخْلِصٌ فِي أَدَائِهَا بِحَسَبِ مَا رَسَمَهُ الْعُرْفُ، وَقَدْ نَطَقَ بِهِ شِعْرُهُمْ، وَزَخَرَ بِهِ أَدَبُهُمْ مِنْ حِكَمٍ وَأَمْثَالٍ وَمُثُلٍ وَقِيَمٍ.

وَالْعَرَبِيُّ يُحِبُّ الْمُسَاوَاةَ، وَيَعْشَقُ الْحُرِّيَّةَ، وَهُوَ رَجُلٌ جَادٌّ صَارِمٌ قَلَّ فِي مُجْتَمَعِهِ الْإِسْفَافُ، مُحَافِظٌ مُتَمَسِّكٌ بِحَيَاتِهِ، مُعْتَزٌّ بِمَا كُتِبَ لَهُ، وَإِنْ كَانَتْ حَيَاةَ خُشُونَةٍ وَصُعُوبَةٍ، وَالْمُمْعِنُ فِي الْبَدَاوَةِ مِنْهُمْ ضَعِيفُ الْإِيمَانِ بِدِينٍ، قَلَّ أَنْ يُؤْمِنَ إِلَّا بِتَقَالِيدِ قَبِيلَتِهِ، مَا وَرِثَهُ عَنْ آبَائِهِ، مَثَلُهُ الْأَعْلَىٰ فِي الْأَخْلَاقِ تَرَكَّزَ فِي مَا سَمَّاهُ الْمُرُوءَةَ، وَتَغَنَّىٰ بِهَا فِي شِعْرِهِ وَأَدَبِهِ.

وَفِي تِلْكَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي تَوَفَّرَتْ فِيهَا الْمِيَاهُ مِنْ مَطَرٍ وَعُيُونٍ وَآبَارٍ؛ ظَهَرَتِ الْحَضَارَةُ عَلَىٰ شَكْلِ قُرًىٰ وَمُسْتَوْطَنَاتٍ وَأَسْوَاقٍ مَوْسِمِيَّةٍ كَانَ لَهَا أَثَرٌ خَطِيرٌ فِي حَيَاةِ الْعَرَبِ عُمُومًا، وَنَشَأَتْ مُجْتَمَعَاتٌ لَهَا طَبِيعَةٌ خَاصَّةٌ وَشَخْصِيَّةٌ مُسْتَقِلَّةٌ نَشَأَتْ مُتَأَثِّرَةً بِطَبِيعَةِ الْأَرْضِ وَطَبِيعَةِ الْجَوِّ، وَطَبِيعَةِ الْحِرَفِ وَالصِّنَاعَاتِ وَطُرُقِ الْعَيْشِ الَّتِي يُمَارِسُهَا هَذَا الْمُجْتَمَعُ؛ فَكَانَ فِي مَكَّةَ مُجْتَمَعٌ خَاصٌّ لَهُ طَابَعٌ مُمَيَّزٌ، وَكَذَلِكَ لِأَهْلِ الْحِيرَةِ، وَلِأَهْلِ يَثْرِبَ.

وَكَانَ مُجْتَمَعُ الْيَمَنِ مِنْ أَغْنَىٰ الْمُجْتَمَعَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَرْقَاهَا؛ لِأَوْضَاعِهِ الْخَاصَّةِ، وَتَارِيخِهِ الْحَضَارِيِّ الْقَدِيمِ وَالسِّيَاسِيِّ الْحَدِيثِ، فَتَفَوَّقَ فِي إِنْتَاجِ الْغَلَّةِ، وَتَرْبِيَةِ الْحَيَوَانِ، وَاسْتِخْرَاجِ الْمَعَادِنِ، وَأَقَامَ لَهُ قُصُورًا وَحُصُونًا، وَاسْتَوْرَدَ آلَاتٍ تُسَاعِدُهُ فِي مُمَارَسَةِ الصِّنَاعَاتِ، وَتَيْسِيرِ الْحَيَاةِ مِنَ الْعِرَاقِ، وَمِنْ بِلَادِ الشَّامِ، وَمِنْ أَفْرِيقِيَّة.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

أَنْسَابُ الْعَرَبِ

وَقَدِ اتَّفَقَ الرُّوَاةُ وَأَهْلُ الْأَخْبَارِ -أَوْ كَادُوا يَتَّفِقُونَ- عَلَىٰ تَقْسِيمِ الْعَرَبِ مِنْ حَيْثُ الْقِدَمُ إِلَىٰ طَبَقَاتٍ:

عَرَبٍ بَائِدَةٍ، وَعَرَبٍ عَارِبَةٍ، وَعَرَبٍ مُسْتَعْرِبَةٍ.

وَاتَّفَقُوا -أَوْ كَادُوا يَتَّفِقُونَ- عَلَىٰ تَقْسِيمِ الْعَرَبِ مِنْ حَيْثُ النَّسَبُ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ:

قَحْطَانِيَّةٍ، مَنَازِلُهُمُ الْأُولَىٰ فِي الْيَمَنِ.

وَعَدْنَانِيَّةٍ، مَنَازِلُهُمُ الْأُولَىٰ فِي الْحِجَازِ.

وَكَذَلِكَ يُقَسِّمُ النَّسَّابُونَ عَدْنَانَ إِلَىٰ فَرْعَيْنِ كَبِيرَيْنِ: رَبِيعَةَ، وَمُضَرَ.

وَكَانَ بَيْنَ الْقَحْطَانِيَّةِ وَالْعَدْنَانِيَّةِ مُنَافَسَةٌ قَدِيمَةٌ كَمَا كَانَ بَيْنَ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ عَدَاءٌ شَدِيدٌ ظَلَّ قُرُونًا طَوِيلَةً، وَاتَّفَقُوا عَلَىٰ أَنَّ الْقَحْطَانِيَّةَ هُمُ الْأَصْلُ، وَالْعَدْنَانِيَّةُ الْفَرْعُ مِنْهُمْ أَخَذُوا الْعَرَبِيَّةَ، وَبِلِسَانِهِمْ تَكَلَّمَ أَبْنَاءُ إِسْمَاعِيلَ بَعْدَ هِجْرَتِهِمْ إِلَىٰ الْحِجَازِ؛ وَإِسْمَاعِيلُ هُوَ الْجَدُّ الْأَكْبَرُ لِلْعَرَبِ الْمُسْتَعْرِبَةِ -أَيِ الْعَرَبِ الْعَدْنَانِيِّينَ-.

اتَّفَقُوا عَلَىٰ أَنَّ الْقَحْطَانِيَّةَ هُمُ الْأَصْلُ وَالْعَدْنَانِيَّةَ الْفَرْعُ.

وَيَرَىٰ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ فِي هَذَا الْعَصْرِ أَنَّ الْعَدْنَانِيِّينَ هُمْ أَصْلُ الْعَرَبِ وَلُبُّهَا، وَهُمُ الْعَرَبُ الْعَارِبَةُ الْأُولَىٰ، عَكْسَ مَا يَرَاهُ وَيَزْعُمُهُ أَكْثَرُ أَهْلِ الْأَخْبَارِ وَيَقُولُونَ: «إِنَّ كُلَّ مَا رُوِيَ مِنْ هَذَا التَّقْسِيمِ لَمْ يُرْوَ مِنَ النُّصُوصِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِنَّمَا وَرَدَ مُتَوَاتِرًا مِنَ الْكُتُبِ الْمُدَوَّنَةِ فِي الْإِسْلَامِ، وَأَكْثَرُهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَىٰ أَقْوَالِ الرُّوَاةِ الْمُنْتَمِينَ إِلَىٰ الْأُصُولِ الْقَحْطَانِيَّةِ الْيَمَنِيَّةِ». فَجَعَلُوا الْقَحْطَانِيَّةَ الْأَصْلَ.

فَبَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ فِي هَذَا الْعَصْرِ يَقُولُ: «إِنَّ الْعَدْنَانِيِّينَ هُمْ أَصْلُ الْعَرَبِ وَلُبُّهَا، وَالْعَرَبُ الْعَارِبَةُ الْأُولَىٰ»، عَكْسَ مَا يَرَاهُ وَيَزْعُمُهُ أَكْثَرُ أَهْلِ الْأَخْبَارِ.

لِلنَّسَبِ عِنْدَ الْعَرَبِ شَأْنٌ كَبِيرٌ، وَقَدْ أَقَرَّ بِهِ أَهْلُ الْخِبْرَةِ مِنَ الْعَجَمِ، فَقَدْ قَالَ رُسْتُمُ، قَائِدُ قُوَّادِ الْفُرْسِ لِأَهْلِ مَجْلِسِهِ حِينَ اسْتَخَفُّوا بِالْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، وَكَانَ رَسُولَ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِ، وَاحْتَقَرُوهُ لِرَثَاثَةِ ثِيَابِهِ، وَتَبَذُّلِهِ؛ فَقَالَ لَهُمْ قَائِدُهُمْ قَائِدُ قُوَّادِ الْفُرْسِ رُسْتُمُ: «وَيْلُكُمْ إِنَّ الْعَرَبَ يَسْتَخِفُّونَ بِالثِّيَابِ وَالْمَآكِلِ وَيَصُونُونَ الْأَحْسَابَ».

www.menhag-un.com

وِحْدَةُ اللُّغَةِ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ

وَكَانَ خَلِيقًا بِهَذَا الْقُطْرِ الْوَاسِعِ الَّذِي يَكَادُ يَكُونُ شِبْهَ قَارَّةٍ أَنْ تَتَعَدَّدَ فِيهِ اللُّغَاتُ وَتَتَنَوَّعَ؛ لِبُعْدِ الْمَسَافَةِ بَيْنَ مَوَاطِنِ الْقَبَائِلِ وَبَيْنَ جَنُوبِيِّ الْجَزِيرَةِ وَشَمَالِيِّهَا، وَقِلَّةِ اتِّصَالِ أَهْلِ الْجَنُوبِ بِأَهْلِ الشَّمَالِ، أَهْلِ الشَّرْقِ بِأَهْلِ الْغَرْبِ، وَبِحُكْمِ الْعَصَبِيَّةِ الْقَبَلِيَّةِ وَالسُّلَالِيَّةِ السَّائِدَةِ عَلَيْهِمْ، وَلِتَأَثُّرِ الْقَبَائِلِ الْمُتَاخِمَةِ لِلرُّومِ وَالْفُرْسِ بِلُغَاتِهِمْ.

وَقِد كَثُرَتِ اللُّغَاتُ فِي أُورُبَّا الْوُسْطَىٰ، وَفِي شِبْهِ الْقَارَّةِ الْهِنْدِيَّةِ كَثْرَةً هَائِلَةً، وَمَا يَزَالُ عَدَدُ اللُّغَاتِ الْمُعْتَرَفِ بِهَا فِي دُسْتُورِ الْهِنْدِ يَبْلُغُ خَمْسَ عَشْرَةَ لُغَةً إِقْلِيمِيَّةً تَخْتَلِفُ فِيمَا بَيْنَهَا اخْتِلَافَ لُغَاتٍ مُسْتَقِلَّةً قَائِمَةً بِذَاتِهَا حَتَّىٰ يَحْتَاجَ أَبْنَاؤُهَا لِلتَّفَاهُمِ إِلَىٰ تَرْجُمَانٍ أَوْ لُغَةٍ أَجْنَبِيَّةٍ يَتَفَاهَمُونَ بِهَا كَالْإِنْجِلِيزِيَّةِ؛ فَكَانَ خَلِيقًا بِهَذَا الْقُطْرِ الْوَاسِعِ مَعَ وُجُودِ هَذِهِ الْعَوَامِلِ أَنْ تَتَعَدَّدَ فِيهِ اللُّغَاتُ وَتَتَنَوَّعَ، لَكِنِ امْتَازَتِ الْجَزِيرَةُ الْعَرَبِيَّةُ عَلَىٰ سَعَتِهَا وَتَرَامِي أَطْرَافِهَا وَتَشَتُّتِ قَبَائِلِهَا بِوَحْدَةِ اللُّغَةِ،كَانَتْ وَمَا تَزَالُ أَدَاةَ تَفَاهُمٍ وَالْتِقَاءٍ لِجَمِيعِ أَبْنَاءِ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ حَضَرِهِمْ وَبَدْوِهِمْ، وَالْقَحْطَانِيِّ مِنْهُمْ، وَالْعَدْنَانِيِّ.

وَهِيَ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ عَلَىٰ اخْتِلَافِ لَهْجَاتِهَا، وَفُرُوقِهَا الْإِقْلِيمِيَّةِ الَّتِي تَقْتَضِيهَا طَبِيعَةُ اللُّغَاتِ وَفَلْسَفَتُهَا، وَطَبِيعَةُ الْأَقَالِيمِ وَالْأَجْوَاءِ، وَطَبِيعَةُ الِانْعِزَالِ

وَالِانْطِوَاءِ؛ فَاللُّغَاتُ تَخْتَلِفُ فِي لَهْجَاتِهَا بِمَسَافَاتٍ قَدْ تَطُولُ، وَقَدْ تَقْصُرُ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْوَحْدَةُ اللُّغَوِيَّةُ الَّتِي امْتَازَتْ بِهَا هَذِهِ الْجَزِيرَةُ مِنْ أَهَمِّ أَسْبَابِ تَيْسِيرِ مُهِمَّةِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَسُرْعَةِ انْتِشَارِ الْإِسْلَامِ فِيهَا، وَمُخَاطَبَةِ الْوِحْدَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُنْتَشِرَةِ بِلُغَةٍ وَاحِدَةٍ هِيَ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْفُصْحَىٰ، وَبِكِتَابٍ وَاحِدٍ هُوَ الْقُرْآنُ الْعَرَبِيُّ الْمُبِينُ.

وَقَدْ تَبَيَّنَ مِنَ الْآثَارِ الْعَتِيقَةِ أَنَّ بِلَادَ الْعَرَبِ كَانَتْ مَأْهُولَةً بِالنَّاسِ مُنْذُ الْعُصُورِ الْبَالِيُوثِيَّةِ أَيِ: الْعُهُودِ الْحَجَرِيَّةِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَمِنْ أَقْدَمِ الْآثَارِ الَّتِي عُثِرَ عَلَيْهَا آثَارٌ مِنْ أَيَّامِ الْعُصُورِ الْمَعْرُوفَةِ بِـ«الشِّلْيَانِ»، أَيِ: الْأَدْوَارِ الْأُولَىٰ مِنْ أَدْوَارِ حَضَارَةِ الْعَصْرِ الْحَجَرِيِّ.

www.menhag-un.com

عَرَاقَةُ تَارِيخِ الْعَرَبُ

وَقَدْ جَاءَ ذِكْرُ الْعَرَبِ فِي مَوَاضِعَ مِنْ أَسْفَارِ التَّوْرَاةِ تَشْرَحُ عَلَاقَاتِ الْعِبْرَانِيِّينَ بِالْعَرَبِ، وَمَا ذُكِرَ فِي التَّوْرَاةِ عَنِ الْعَرَبِ يَرْجِعُ تَارِيخُهُ إِلَىٰ مَا بَيْنَ سَنَةِ خَمْسِينَ وَسَبْعِ مِئَةٍ وَالْقَرْنِ الثَّانِي قَبْلَ الْمَسِيحِ، وَقَدْ وَرَدَتْ فِي التُّلْمُودِ إِشَارَاتٌ إِلَىٰ الْعَرَبِ كَذَلِكَ.

وَفِي كُتُبِ جُوزِيفُوس فِلَافْيُوسَ الَّذِي عَاشَ بَيْنَ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِئَةٍ لِلْمَسِيحِ تَقْرِيبًا فِي كُتُبِهِ مَعْلُومَاتٌ ثَمِينَةٌ عَنِ الْعَرَبِ، وَأَخْبَارٌ مُفَصَّلَةٌ عَنِ الْعَرَبِ وَالْأَنْبَاطِ، وَوَرَدَتْ فِي الْكُتُبِ الْيُونَانِيَّةِ وَاللَّاتِينِيَّةِ الْمُؤَلَّفَةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ -عَلَىٰ مَا فِيهَا مِنْ أَخْطَاءٍ- وَرَدَتْ أَخْبَارٌ تَارِيخِيَّةٌ جُغْرَافِيَّةٌ كَبِيرَةُ الْخُطُورَةِ، وَوَرَدَتْ فِيهَا أَسْمَاءُ قَبَائِلَ عَرَبِيَّةٍ كَثِيرَةٍ لَوْلَاهَا لَمْ نَعْرِفْ عَنْهَا شَيْئًا.

وَتُعَدُّ الْإِسْكَنْدَرِيَّةُ مِنْ أَهَمِّ الْمَرَاكِزِ الَّتِي كَانَتْ تُعْنَىٰ عِنَايَةً خَاصَّةً بِجَمْعِ الْأَخْبَارِ عَنْ بِلَادِ الْعَرَبِ، وَعَادَاتِ سُكَّانِهَا، وَمَا يَنْتُجُ فِيهَا لِتَقْدِيمِ تِلْكَ الْمَعْلُومَاتِ إِلَىٰ مَنْ يَرْغَبُ فِيهَا مِنْ تُجَّارِ الْبَحْرِ الْمُتَوَسِّطِ، وَمِنْ أَقْدَمِ مَنْ ذَكَرَ الْعَرَبَ مِنَ الْيُونَانِيِّينَ: أَفِيلِيسُ قَبْلَ الْمَسِيحِ، وَهِيرُدُوتْسُ، وَهُنَاكَ طَائِفَةٌ مِنَ الْكُتَّابِ الَّذِينَ تَرَكُوا لَنَا آثَارًا، وَرَدَتْ فِيهَا إِشَارَاتٌ إِلَىٰ الْعَرَبِ، وَالْبِلَادِ

الْعَرَبِيَّةِ مِنْهُمْ بَطْلَيْمُوسُ الَّذِي عَاشَ فِي الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فِي الْقَرْنِ الثَّانِي لِلْمَسِيحِ، وَهُوَ صَاحِبُ مُؤَلَّفَاتٍ فِي الرِّيَاضِيَّاتِ؛ مِنْهَا: كِتَابُ «الْمِجَصِّي» الْمَعْرُوفُ فِي الْعَرَبِيَّةِ، وَفِي الْمَوَارِدِ النَّصْرَانِيَّةِ مَادَّةٌ غَزِيرَةٌ عَنْ تَارِيخِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ، وَإِنْ كَانَتْ خَاصَّةً بِمَا لَهُ صِلَةٌ بِالنَّصْرَانِيَّةِ وَانْتِشَارِهَا، وَمَرَاكِزِ نَشَاطِهَا.

وَالْعَرَبُ فِي التَّوْرَاةِ هُمُ الْأَعْرَابُ، أَيْ: سُكَّانُ الْبَوَادِي؛ لِذَلِكَ فَإِنَّ النُّعُوتَ الْوَارِدَةَ فِيهَا عَنْهُمْ، وَهِيَ نُعُوتٌ لِعَرَبِ الْبَادِيَةِ، وَكَذَلِكَ فِي كُتُبِ الْيُونَانِ، وَالرُّومَانِ، وَالْأَنَاجِيلِ نُعُوتٌ قُصِدَتْ بِهَا الْأَعْرَابُ، وَقَدْ كَانُوا يُغِيرُونَ عَلَىٰ حُدُودِ إِمْبِرَاطُورِيَّتَيِ الْيُونَانِ وَالرُّومَانِ، وَيَسْلُبُونَ الْقَوَافِلَ، وَيَأْخُذُونَ الْإِتَاوَاتِ مِنَ التُّجَّارِ وَالْمُسَافِرِينَ.

وَقَدْ وَصَفَ دِيتْرُوثُ الصَّقَلِّيُّ الْعَرَبَ بِأَنَّهُمْ يَعْشَقُونَ الْحُرِّيَّةَ، فَيَلْتَحِفُونَ السَّمَاءَ، وَيَعْتَقِدُونَ بِالْإِرَادَةَ الْحُرَّةِ، وَالْحُرِّيَّةِ الْمُطْلَقَةِ، وَبِذَلِكَ يَصِفُهُمْ هِيرُدُوتُسُ فَيَقُولُ: «إِنَّهُمْ يُقَاوِمُونَ أَيَّ قُوَّةٍ تُحَاوِلُ اسْتِرْقَاقَهُمْ، وَاسْتِذْلَالَهُمْ».

فَالْحُرِّيَّةُ عِنْدَ الْعَرَبِ هِيَ أَكْبَرُ شِعَارٍ وَمِيزَةٍ يَمْتَازُ بِهَا الْعَرَبُ فِي نَظَرِ الْكَتَبَةِ الْيُونَانِ وَاللَّاتِينِ.

وَكَذَلِكَ الصِّلَاتُ بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْهِنْدِ وَمَعْرِفَةُ أَحَدِهِمَا بِالْأُخْرَىٰ، وَالتَّبَادُلُ التِّجَارِيُّ وَالثَّقَافِيُّ بَيْنَ الْبَلَدَيْنِ قَدِيمٌ وَوَثِيقٌ، وَسَابِقٌ عَنِ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ بِكَثِيرٍ،

وَكَانَتِ الْهِنْدُ مِنْ أَعْرَفِ الْأَقْطَارِ الْآسْيَوِيَّةِ بِالْعَرَبِ، وَأَقْرَبَ إِلَيْهِمْ لِعَوَامِلَ جُغْرَافِيَّةٍ وَاقْتِصَادِيَّةٍ كَمَا تَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ الْمَصَادِرُ الْهِنْدِيَّةُ وَالْمَصَادِرُ الْعَرَبِيَّةُ، وَالِاكْتِشَافَاتُ الْحَدِيثَةُ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

جُغْرَافِيَّةُ بِلَادِ الْحِجَازِ

كَمَا مَرَّ قَسَّمَ جُغْرَافِيُّ الْعَرَبِ شِبْهَ الْجَزِيرَةِ إِلَىٰ خَمْسَةِ أَقْسَامٍ: (الْحِجَازُ - وَتِهَامَةُ - وَنَجْدٌ - وَالْعَرُوضُ - وَالْيَمَنُ).

وَزَادَ الْاصْطَخْرِيُّ، وَابْنُ حَوْقَلٍ ثَلَاثَةَ أَصْقَاعٍ، وَهِيَ: (بَادِيَةُ الْعِرَاقِ - وَبَادِيَةُ الْجَزِيرَةِ - وَبَادِيَةُ الشَّامِ).

فَالْحِجَازُ: هِيَ الْجِبَالُ الْمُمْتَدَّةُ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَىٰ الشَّمَالِ، وَسُمِّيَتْ حِجَازًا؛ لِأَنَّهَا حَجَزَتْ بَيْنَ الْغَوْرِ وَتِهَامَةَ غَرْبًا، وَبَيْنَ نَجْدٍ شَرْقًا؛ وَمَا بَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ عَلَىٰ سِيْفِ الْبَحْرِ عَلَىٰ امْتِدَادِهِ يُسَمَّىٰ تِهَامَةَ، وَمَا يُوجَدُ شَرْقَ الْحِجَازِ مِنَ الْأَرْضِ الْمُرْتَفِعَةِ إِلَىٰ أَطْرَافِ الْعِرَاقِ وَالسَّمَاوَةِ يُسَمَّىٰ نَجْدًا، وَالْجُزُرُ الَّتِي تَضُمُّ بِلَادَ الْيَمَامَةِ وَالْبَحْرَيْنِ وَمَا وَالَاهَا تُسَمَّىٰ الْعَرُوضَ، وَمَا يُوجَدُ حَوْلَ صَنْعَاءَ وَمَا وَالَاهَا مِنَ الْبِلَادِ إِلَىٰ حَضْرَمَوْتَ وَالشَّحَرِ وَعُمَانَ يُسَمَّىٰ الْيَمَنَ، وَالَّذِي يُهِمُّنَا هَاهُنَا هُوَ التَّعْرِيفُ بِالْحِجَازِ.

الْحِجَازَ عِبَارَةٌ عَنْ سِلْسِلَةِ الْجِبَالِ الْكَثِيرَةِ وَالْمُمْتَدَّةِ مِنْ بِلَادِ الْيَمَنِ إِلَىٰ بِلَادِ الشَّامِ، كَمَا قَالَ مُعْظَمُ الْجُغْرَافِيِّينَ، وَمَا حَوْلَ هَذِهِ الْجِبَالِ وَمَا يَتَخَلَّلُهَا مِنْ وِدْيَانٍ يَدْخُلُ فِي الْحِجَازِ أَيْضًا.

وَسُمِّيَ حِجَازًا؛ لِأَنَّهُ حَجَزَ بَيْنَ إِقْلِيمِ نَجْدٍ شَرْقًا، وَبِلَادِ تِهَامَةَ غَرْبًا -كَمَا مَرَّ- ، وَلَكِنَّ اسْمَ الْحِجَازِ فِي الْعُرْفِ يَشْمَلُ تِهَامَةَ أَيْضًا، بَلْ عَدَّ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ تَبُوكَ وَفِلَسْطِينَ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ.

وَطُولُ الْحِجَازِ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَىٰ الشَّمَالِ: سَبْعُ مِئَةِ مِيلٍ، وَعَرْضُهُ مِنَ الشَّرْقِ إِلَىٰ الْغَرْبِ: خَمْسُونَ وَثَلَاثُ مِئَةِ مِيلٍ، وَتُعْتَبَرُ جِبَالُ السَّارَاةِ عَمُودًا فِقْرِيًّا لِشِبْهِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَتَخْتَلِفُ جِبَالُ الْحِجَازِ ارْتِفَاعًا وَانْخِفَاضًا، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ بِضْعَةَ آلَافٍ مِنَ الْأَمْتَارِ، وَمِنْهَا مَا لَا يَزِيدُ عَلَىٰ مِئَتَيْ مِتْرٍ، وَتَتَخَلَّلُ هَذِهِ الْجِبَالَ وِدْيَانٌ كَثِيرَةٌ، وعُيُونٌ وَآبَارٌ، وَحَوْلَ الْعُيُونِ وَالْآبَارِ تُوجَدُ الْوَاحَاتُ.

◉ أَشْهَرُ وِدْيَانِ الْحِجَازِ:

مِنْ أَشْهَرِ هَذِهِ الْوِدْيَانِ:

* **وَادِي إِضَمَ**، وَيَقَعُ جَنُوبَ خَيْبَرَ حَتَّىٰ يُقَارِبَ الْمَدِينَةَ حَيْثُ تَتَّصِلُ بِهِ أَوْدِيَةٌ فَرْعِيَّةٌ كَوَادِي الْعَقِيقِ.

مِنْ أَشْهَرِ هَذِهِ الْوِدْيَانِ أَيْضًا:

* **وَادِي الْقُرَىٰ**، وَهُوَ يَسْتَمِدُّ مِيَاهَهُ مِنَ السُّيُولِ الَّتِي تَنْحَدِرُ إِلَيْهِ مِنَ الْعُيُونِ الَّتِي عِنْدَ خَيْبَرَ، ثُمَّ يَتَّجِهُ غَرْبًا حَتَّىٰ يَصُبَّ فِي الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ جَنُوبَ قَرْيَةِ الْوَجْهِ.

وَوَادِي الْقُرَىٰ وَادٍ مُهِمٌّ؛ لِأَنَّهُ مَمَرُّ الْقَوَافِلِ الَّتِي كَانَتْ مِنْ أَهَمِّ وَسَائِلِ نَقْلِ التِّجَارَةِ فِي الْعَالَمِ الْقَدِيمِ.

* **وَادِي الرُّمَّةِ**: عِنْدَ حَرَّةِ فَدَك، يَتَكَوَّنُ مِنَ الْتِقَاءِ بِضْعَةِ أَوْدِيَةٍ ثُمَّ يَتَّجِهُ نَحْوَ الشَّرْقِ حَتَّي جَبَلِ الْقَصِيمِ، وَيَبْلُغُ طُولُهُ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِينَ وَتِسْعِ مِئَةِ كِيلُو مِتْرًا.

* **وَادِي الصَّفْرَاءِ**: وَهُوَ وَادٍ كَثِيرُ النَّخْلِ وَالزُّرُوعِ فِي طَرِيقِ الْحُجَّاجِ، سَلَكَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ بَدْرٍ مَرْحَلَةٌ، وَسُمِّيَ بِاسْمِ قَرْيَةِ الصَّفْرَاءِ، وَهِيَ قَرْيَةٌ كَثِيرَةُ النَّخْلِ وَالزُّرُوعِ، وَمَاؤُهَا عُيُونٌ تَجْرِي إِلَىٰ يَنْبُعَ، وَكَانَ يَمُرُّ بِالْحِجَازِ أَحَدُ طَرِيقَيِ التِّجَارَةِ الْبَرِّيَّيْنِ بَيْنَ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ، مُبْتَدِئًا مِنَ الْيَمَنِ مُخْتَرِقًا تِهَامَةَ وَالْحِجَازَ، مَارًّا بِمَكَّةَ وَيَثْرِبَ الَّذِي بِالْمَدِينَةِ حَتَّىٰ يَصِلَ إِلَىٰ أَيْلَةَ عَلَىٰ خَلِيجِ الْعَقَبَةِ، ثُمَّ مِنْهَا إِلَىٰ مَوَانِئِ الْبَحْرِ الْأَبْيَضِ الْمُتَوَسِّطِ.

◉ سَلَامَةُ أَرْضِ الْحِجَازِ مِنَ الاحْتِلَالِ:

وَقَدْ شَاءَ اللهُ (تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ) أَلَّا تَطَأَ الْحِجَازَ قَدَمُ دَخِيلٍ قَطُّ، أَوْ مُغِيرٍ، وَلَا كَانَ لِأَحَدٍ مِنَ الدُّوَلِ الْمُجَاوِرَةِ الْقَوِيَّةِ عَلَيْهَا سُلْطَانٌ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ لِوُعُورَةِ الْأَرْضِ، وَكَثْرَةِ الْجِبَالِ، وَضِيقِ الْمَسَالِكِ، وَسَعَةِ مَغَاوِرِهَا، كَمَا أَنَّ حَالَتَهُ الِاقْتِصَادِيَّةَ لَمْ تَكُنْ لِتُطْمِعُ أَحَدًا فِيهِ؛ فَمِنْ ثَمَّ بَقِيَ أَهْلُهُ عَلَىٰ مَا فُطِرُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحُرِّيَّةِ وَالِانْطِلَاقِ، وَمَا اتَّصَفُوا بِهِ مِنَ الْخِلَالِ الْكَرِيمَةِ، وَبَقِيَتْ أَنْسَابُهُمْ سَلِيمَةً مِنَ الْهُجْنَةِ، وَلُغَتُهُمْ سَلِيمَةً مِنَ الْعُجْمَةِ، لَا سِيَّمَا مَكَّةُ الْمُكَرَّمَةُ؛ فَلَمْ يَكُنْ بِهَا سِوَىٰ الْعَرَبِ الْخُلَّصِ مَا عَدَا أُنَاسًا لَا حَوْلَ لَهُمْ وَلَا طَوْلٌ، وَلَا أَثَرَ لَهُمْ يُذْكَرُ فِي حَيَاةِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَحْتَرِفُونَ بَعْضَ الْحِرَفِ، كَالْحِدَادَةِ، وَالصِّبَاغَةِ،

وَخِدْمَةِ الْأَشْرَافِ، وَالْعَمَلِ لَهُمْ فِي تِجَارَتِهِمْ، وَبَسَاتِينِهِمْ، وَهُمْ طَبَقَةُ الْعَبِيدِ وَالْأَرِقَّاءِ مِنَ الْحَبَشَةِ وَالرُّومِ وَفَارِسَ مِمَّنْ لَا يَتَطَاوَلُونَ إِلَىٰ قُرَيْشٍ أَوْ مُصَاهَرَتِهَا أَوِ التَّأْثِيرِ فِيهَا؛ وَبَعْضُهُمْ كَانَ نَصْرَانِيًّا؛ كَجَبْرٍ الرُّومِيِّ، وَعَدَّاسٍ النَّيْنَوَانِيِّ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ عِلْمِ النَّصْرَانِيَّةِ سِوَىٰ الِانْتِمَاءِ إِلَيْهَا، وَبَعْضُهُمْ كَانَ عَلَىٰ دِينِ قُرَيْشٍ، وَقَدْ صَارَ مُعْظَمُ هَؤُلَاءِ مِنْ أَسْعَدِ النَّاسِ بِالْإِسْلَامِ وَأَكْرَمِهِمْ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ، أَمْثَالُ: بِلَالٍ الْحَبَشِيِّ، وَصُهَيْبٍ الرُّومِيِّ، وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ-.

◉ أَهَمُّ مُدُنِ بِلَادِ الْحِجَازِ:

يَشْتَمِلُ الْحِجَازُ عَلَىٰ قُرَىً وَمُدُنٍ أَهَمُّهَا: (مَكَّةُ، وَيَثْرِبُ -أَيِ: المَدِينَة-، وَالطَّائِفُ، وَجُدَّةُ).

فَأَمَّا مَكَّةُ: فَهِيَ بَلَدُ اللهِ الْحَرَامُ، وَفِيهَا الْكَعْبَةُ الْمُشَرَّفَةُ الَّتِي يُحِيطُ بِهَا الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ.

وَمَكَّةُ، تَقَعُ فِي وَادٍ سَهْلٍ مُنْبَسِطٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ، تُحِيطُ بِهِ الْجِبَالُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ مَعَ تَخَلُّلِ شِعَابٍ بَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ، وَفِي شَمَالِ مَكَّةَ يُوجَدُ جَبَلُ حِرَاءٍ الَّذِي بِهِ غَارُ حِرَاءٍ، وَفِي جَنُوبِهَا يَقَعُ جَبَلُ ثَوْرٍ الَّذِي يُوجَدُ بِهِ غَارُ ثَوْرٍ.

وَمَكَّةُ مَدِينَةٌ فِي نَشْأَتِهَا لِعَيْنِ زَمْزَمَ، وَلِلْكَعْبَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ.

www.menhaj-un.com

وَمَكَّةُ وَمَا حَوْلَهَا حَرَمٌ مَعْلُومُ الْحُدُودِ، وُضِعَتْ عَلَىٰ حُدُودِهِ نُصُبٌ وَعَلَامَاتٌ يُعْرَفُ بِهَا يَأْمَنُ فِيهَا الْإِنْسَانُ وَالْحَيَوَانُ وَالطَّيْرُ، فَلَا يُسْفَكُ فِيهِ دَمٌ، وَلَا يُهَاجُ فِيهِ حَيَوَانٌ، وَلَا يُصَادُ فِيهِ طَيْرٌ، بَلْ وَلَا يُقْطَعُ شَجَرُهَا، وَقَدْ حَرَّمَهَا اللهُ وَمَا حَوْلَهَا مِنْ يَوْمِ أَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؛ فَهِيَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»، وَقَدْ أَظْهَرَ اللهُ هَذَا التَّحْرِيمَ عَلَىٰ لِسَانِ الْخَلِيلِ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

وَمَكَّةُ تُسَمَّىٰ: بَكَّةَ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

وَتُسَمَّىٰ مَكَّةُ: أُمَّ الْقُرَىٰ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورىٰ: ٧].

وَلِمَكَّةَ مَكَانَةٌ مُمْتَازَةٌ فِي نُفُوسِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَفِيهَا الْكَعْبَةُ، وَالْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، وَالصَّفَا وَالْمَرْوَةُ، وَبِجِوَارِهَا عَرَفَاتٌ، وَالْمُزْدَلِفَةُ، وَمِنَىٰ؛ وَهِيَ مِنْ مَشَاعِرِ الْحَجِّ؛ فَلِذَلِكَ تَهْفُو إِلَيْهَا قُلُوبُ الْأُلُوفِ لِقَضَاءِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ مِنْ لَدُنِ الْخَلِيلِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام إِلَىٰ وَقْتِنَا هَذَا، وَيُرَجِّحُ بَعْضُ الْبَاحِثِينَ فِي السِّيرَةِ نَشْأَتَهَا إِلَىٰ سَنَةِ خَمْسِينَ وَأَلْفَيْنِ قَبْلَ الْمِيلَادِ.

وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي أَوَّلِ مَنْ أَنْشَأَهَا، فَجُمْهُورُ الْمُؤَرِّخِينَ عَلَىٰ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ بَنَاهَا وَسَكَنَهَا الْعَمَالِيقُ، وَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ الْبَائِدَةِ، ثُمَّ خَلَفَهُمْ عَلَيْهَا جُرْهُمٌ، حَتَّىٰ أَسْكَنَ

الْخَلِيلُ إِبْرَاهِيمُ إِسْمَاعِيلَ، وَأُمَّهُ هَاجَرَ بِهَذَا الْوَادِي، فَنَشَأَ إِسْمَاعِيلُ بِهِ حَتَّىٰ صَارَ رَجُلًا وَاخْتَلَطَ بِهِمْ -أَيْ بِجُرْهُمٍ- وَصَاهَرَهُمْ، ثُمَّ غَلَبَتْ خُزَاعَةُ جُرْهُمَ عَلَىٰ مَكَّةَ، وَاسْتَمَرُّوا حُكَّامَهَا حَتَّىٰ جَاءَ قُصَيُّ بْنُ كِلَابٍ فَجَمَعَ قُرَيْشًا فِيهَا بَعْدَ أَنْ تَمَكَّنَ مِنْ إِجْلَاءِ خُزَاعَةَ عَنْهَا؛ وَبِذَلِكَ عَادَتْ لِقُرَيْشٍ السِّيَادَةُ عَلَىٰ مَكَّةَ، وَحِمَايَةُ الْبَيْتِ حَتَّىٰ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ.

وَالَّذِي تَدُلُّ عَلَيْهِ قِصَّةُ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» أَنَّ الْخَلِيلَ لَمَّا أَسْكَنَ ابْنَهُ وَأُمَّهُ هُنَاكَ لَمْ يَكُنْ بِهَا أَحَدٌ، وَأَنَّ الْجَرَاهِمَةَ أَوَّلُ مَنْ أَقَامُوا بِجِوَارِ إِسْمَاعِيلَ؛ مِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ مَكَّةَ لَمْ تَنْشَأْ إِلَّا بَعْدَ نَبْعِ زَمْزَمَ، وَبِنَاءِ الْبَيْتِ، وَاتِّصَالِ إِسْمَاعِيلَ بِالْجَرَاهِمَةِ وَمُصَاهَرَتِهِ فِيهِمْ؛ فَهَذَا بَعْضُ مَا يَتَعَلَّقُ بِمَكَّةَ الْبَلَدِ الْحَرَامِ.

وَأَمَّا الْمَدِينَةُ: فَهِيَ تَقَعُ عَلَىٰ بُعْدِ نَحْوٍ مِنْ ثَلَاثِ مِئَةِ مِيلٍ شَمَالَ مَكَّةَ، كَانَ اسْمُهَا الْغَالِبُ عَلَيْهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ «يَثْرِبَ»، وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الِاسْمُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَهِيَ تَقَعُ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ.

وَالْحَرَّةُ: أَرْضٌ بِهَا صُخُورٌ، وَتَكُونُ سَوْدَاءَ، وَأَرْضُهَا تَشْتَهِرُ -أَيْ أَرْضُ الْمَدِينَةِ- بِالْخِصْبِ مِنْ قَدِيمٍ، وَبِهَا الْبَسَاتِينُ وَالنَّخِيلُ وَالْفَوَاكِهُ وَالزُّرُوعُ.

قِيلَ: إِنَّ تَارِيخَ نَشْأَتِهَا يَرْجِعُ إِلَىٰ نَحْوِ سَنَةِ سِتِّ مِئَةٍ وَأَلْفٍ قَبْلَ الْمِيلَادِ، وَكَانَ يَسْكُنُهَا الْعَمَالِيقُ فِي بَادِئِ الْأَمْرِ، ثُمَّ ارْتَحَلَ إِلَيْهَا بَعْضُ الْيَهُودِ لَمَّا تَعَرَّضُوا لِمَوْجَاتٍ مِنَ الِاضْطِهَادِ، وَالْقَتْلِ، وَالْأَسْرِ عَلَى يَدَيْ بُخْتُنَصَّرَ

الْبَابِلِيِّ وَغَيْرِهِ، فَأَقَامُوا بِهَا؛ فَالْيَهُودُ طَارِئُونَ، وَدُخَلَاءُ عَلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَمِنْ كَرَمِ الْعَرَبِ أَنْ تَرَكُوهُمْ يَسَاكُنُونَهُمْ فِيهَا حَتَّىٰ جَاءَ الْإِسْلَامُ؛ فَاسْتَعْمَلُوا الدَّسَّ، وَالْغَدْرَ، وَالْخِيَانَةَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ؛ فَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ إِجْلَائِهِمْ عَنْهَا، كَمَا سَيَأْتِي -إِنْ شَاءَ اللهُ جَلَّوَعَلَا-.

نَزَلَ الْمَدِينَةَ -وَكَانَتْ تُسَمَّىٰ يَثْرِبَ، نَزَلَهَا- بَعْدَ انْهِيَارِ سَدِّ مَأْرِبٍ بَعْضُ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ الْجَنُوبِيَّةِ، وَهُمَا قَبِيلَتَا الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، فَوَجَدُوا الثَّرْوَةَ وَالْمَالَ مَعَ الْيَهُودِ؛ فَاسْتَعَانُوا بِإِخْوَانِهِمُ الْعَرَبِ فَأَعَانُوهُمْ، فَقَتَلُوا رُؤَسَاءَهُمْ وَأَذَلُّوهُمْ، وَأَصْبَحَ لِلْأَوْسِ، وَالْخَزْرَجِ الزَّعَامَةُ بِيَثْرِبَ، وَقَدِ اسْتَمَرَّتِ الْحَالُ عَلَىٰ هَذَا حَتَّىٰ مَجِيءِ الْإِسْلَامِ، وَسَارَعَتْ إِلَيْهِ الْقَبِيلَتَانِ، وَعُرِفَتَا فِيمَا بَعْدُ بِالْأَنْصَارِ.

وَكَانَتِ الْمَدِينَةُ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ تَقَعُ عَلَىٰ طَرِيقِ الْقَوَافِلِ التِّجَارِيَّةِ بَيْنَ الْجَنُوبِ وَالشَّمَالِ، وَبَيْنَ مَكَّةَ وَالشَّامِ مِمَّا جَعَلَهَا تَزْدَهِرُ، وَقَدِ اكْتَسَبَتْ بَعْدَ مَجِيءِ الْإِسْلَامِ وَهِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ إِلَيْهَا مَكَانَةً مُمْتَازَةً، فَقَدْ أَضْحَتْ عَاصِمَةَ الْإِسْلَامِ، وَقَلْبَهُ النَّابِضَ، وَقُضبَهُ الَّذِي تَدُورُ عَلَيْهِ رَحَاهُ.

وَقَدْ جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ حَرَمًا آمِنًا؛ فَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَدَعَا لِأَهْلِهَا، وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ، وَإِنِّي دَعَوْتُ فِي صَاعِهَا، وَمُدِّهَا بِمِثْلَيْ مَا دَعَا بِهِ إِبْرَاهِيمُ لِأَهْلِ مَكَّةَ**».

وَفِي رِوَايَةٍ: «**بِمِثْلِ مَا دَعَا بِهِ إِبْرَاهِيمُ**».

فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ -أَيْضًا- أَنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَأَنَا أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَبَتَيْهَا، فَلَا يُسْفَكُ فِيهَا دَمٌ، وَلَا يُصَادُ بِهَا صَيْدٌ، وَلَا يُهَاجُ بِهَا طَيْرٌ، وَلَا يُعْضَضُ بِهَا شَجَرٌ**».

وَكَذَلِكَ وَرَدَ أَنَّهَا حَرَمٌ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ».

كَانَتِ الْمَدِينَةُ تُسَمَّىٰ (يَثْرِبَ)، فَسَمَّاهَا النَّبِيُّ ﷺ طَيْبَةَ، وَطَابَةَ، وَنَهَىٰ أَنْ يُقَالَ: يَثْرِب.

وَفِي الْمَدِينَةِ الْمَسْجِدُ النَّبَوِيُّ ثَانِي الْمَسَاجِدِ الْمُشَرَّفَةِ الَّتِي تُشَدُّ إِلَيْهَا الرِّحَالُ، وَإِنْ كَانَ قَالَ ثَالِثُهَا فِي الْبِنَاءِ؛ وَفِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الرَّوْضَةُ؛ فَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ: «**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ**»؛ وَفِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ أَفْضَلُ بُقْعَةٍ ضَمَّتْ أَفْضَلَ جَسَدٍ لِبَشَرٍ.

فِي الْمَدِينَةِ وَمَا جَاوَرَهَا آثَارٌ وَذِكْرَيَاتٌ عَزِيزَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَلِأَيَّامِ الْإِسْلَامِ، وَأَحْدَاثِهِ، وَتَشْرِيعَاتِهِ؛ فِيهَا: الْبَقِيعُ، مَقْبَرَةُ خِيَارِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ أَئِمَّةِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ؛ فَلَا عَجَبَ إِنْ كَانَتِ الْمَدِينَةُ تَهْفُو إِلَيْهَا قُلُوبُ أُلُوفِ الْمُسْلِمِينَ كُلَّ عَامٍ.

وَمِينَاءُ الْمَدِينَةِ الَّتِي تُشْرِفُ عَلَىٰ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ يَنْبُعُ، وَتَبْعُدُ عَنْهَا -أَيْ عَنِ الْمَدِينَةِ- نَحْوًا مِنْ مِئَةٍ وَثَلَاثِينَ مِيلًا.

الطَّائِفُ: بَلْدَةٌ تَقَعُ عَلَىٰ بُعْدِ نَحْوِ خَمْسَةٍ وَسَبْعِينَ مِيلًا إِلَىٰ الْجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ مَكَّةَ، عَلَىٰ رَبْوَةٍ عَالِيَةٍ، يَبْلُغُ ارْتِفَاعُهَا نَحْوَ خَمْسَةِ آلَافِ قَدَمٍ عَلَىٰ ظَهْرِ جَبَلِ غَزْوَان؛ فَمِنْ ثَمَّ كَانَ هَوَاؤُهَا بَارِدًا فِي الصَّيْفِ، وَكَانَتْ وَمَا تَزَالُ مَصِيفَ أَهْلِ مَكَّةَ وَغَيْرِهِمْ.

قَالَ الشَّاعِرُ:

تَشْتُو بِمَكَّةَ نِعْمَةً وَمَصِيفُهَا بِالطَّائِفِ

يُحِيطُ بِالطَّائِفِ وِدْيَانٌ كَثِيرَةٌ تَتَجَمَّعُ فِيهَا الْمِيَاهُ فِي مَوْسِمِ الْأَمْطَارِ، وَبِهَا عُيُونٌ، وَآبَارٌ كَبِيرَةٌ، وَأَرْضُهَا خِصْبَةٌ تَكْثُرُ بِهَا الْحَدَائِقُ الَّتِي تُثْمِرُ الْفَوَاكِهَ الْجَيِّدَةَ، وَبِهَا تَجُودُ الزُّرُوعُ، والْحُبُوبُ، وَلَا تَزَالُ إِلَىٰ وَقْتِنَا هَذَا يُجْلَبُ مِنْهَا لِأَهْلِ مَكَّةَ وَغَيْرِهَا الْفَوَاكِهُ كَالْعِنَبِ، وَالرُّمَّانِ، وَغَيْرِهِمَا.

وَكَانَتْ تَسْكُنُ الطَّائِفَ قَدِيمًا قَبِيلَةُ ثَقِيفٍ، وَكَانَتْ مِنْ أَعْتَىٰ الْقَبَائِلِ، وَأَصْعَبِهَا مِرَاسًا وَعِنَادًا، وَقَدِ اسْتَثْنَىٰ بِهِمُ النَّبِيُّ ﷺ، وَدَعَا لَهُمْ حَتَّىٰ هَدَاهُمْ اللهُ تَعَالَىٰ لِلْإِسْلَامِ.

جَدَّةُ: هِيَ مِينَاءُ مَكَّةَ عَلَىٰ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ، وَهِيَ تَبْعُدُ عَنْ مَكَّةَ نَحْوَ خَمْسَةٍ وَسَبْعِينَ كِيلُو مِتْرًا، وَأَرْضُهَا رَمْلِيَّةٌ، وَلَيْسَ بِهَا زِرَاعَةٌ، وَهِيَ أَهَمُّ مَوَانِئِ الْحِجَازِ كُلِّهَا، وَعَنْ طَرِيقِهَا يَدْخُلُ الْمُسْتَوْرَدُ، وَيَخْرُجُ الْمُصَدَّرُ، وَهِيَ مِنَ الْمَرَاكِزِ التِّجَارِيَّةِ الْمُهِمَّةِ بِالْبِلَادِ، وَتَقَعُ عَلَىٰ أَحَدِ الطَّرِيقَيْنِ الْمُعَبَّدَيْنِ بَيْنَ

مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ الْآنَ، وَقَدْ كَانَتْ عَرُوسَ مَوَانِئِ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ بَعْدَ أَنْ ضَرَبَتْ فِي الْحَضَارَةِ وَالْعُمْرَانِ بِحَظٍّ كَبِيرٍ، وَاسْتَبْحَرَ فِيهَا الْعُمْرَانُ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا لَا سِيَّمَا مِنْ جِهَةِ مَكَّةَ.

فَهَذَا بَعْضُ وَصْفٍ لِهَذِهِ الْمُدُنِ مِنْ مُدُنِ الْحِجَازِ، وَلَهَا تَعَلُّقٌ مُبَاشِرٌ بِسِيرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ وُلِدَ وَنَشَأَ وَدَعَا إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ فِي مَكَّةَ، ثُمَّ هَاجَرَ ﷺ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ خَرَجَ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ يَدْعُوهُمْ -يَعْنِي ثَقِيفًا- إِلَىٰ اللهِ جَلَّوَعَلَا؛ فَبَعْضُ وَقَائِعِ السِّيرَةِ لَهَا تَعَلُّقٌ مُبَاشِرٌ بِهَذِهِ الْمُدُنِ مِنْ مُدُنِ الْحِجَازِ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

أُصُولُ الْعَرَبِ وَقَبَائِلُهُمْ

قَسَّمَ الْمُؤَرِّخُونَ أُصُولَ الْعَرَبِ -كَمَا مَرَّ- إِلَىٰ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ، بِحَسَبِ السُّلَالَاتِ الَّتِي انْحَدَرُوا مِنْهَا:

الْعَرَبُ الْبَائِدَةُ: وَهِيَ قَبَائِلُ: عَادٍ، وَثَمُودَ، وَالْعَمَالِقَةِ، وَطَسْمٍ، وَجَدِيْسٍ، وَأُمَيْمٍ، وَجُرْهُمٍ، وَحَضْرَمَوْتَ، وَمَنْ يَتَّصِلُ بِهِمْ، وَهَذِهِ دَرَسَتْ مَعَالِمُهَا، وَاضْمَحَلَّتْ مِنَ الْوُجُودِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، وَكَانَ لَهُمْ مُلُوكٌ امْتَدَّ مُلْكُهُمْ إِلَىٰ الشَّامِ وَمِصْرَ.

الْعَرَبُ الْعَارِبَةُ: هُمْ الْعَرَبُ الْمُنْحَدِرَةُ مِنْ صُلْبِ يَعْرُبَ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ قَحْطَانَ، وَتُسَمَّىٰ بِالْعَرَبِ الْقَحْطَانِيَّةِ، وَيُعْرَفُونَ بِعَرَبِ الْجَنُوبِ، وَمِنْهُمْ مُلُوكُ الْيَمَنِ، وَمُلُوكُ مَمْلَكَةِ مَعِينٍ، وَسَبَأٍ، وَحِمْيَرَ.

الْعَرَبُ الْعَدْنَانِيَّةُ: نِسْبَةً إِلَىٰ عَدْنَانَ الَّذِي يَنْتَهِي نَسَبُهُ إِلَىٰ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عليهما السلام، وَهُمُ الْمَعْرُوفُونَ بِالْعَرَبِ الْمُسْتَعْرِبَةِ، أَيِ: الَّذِينَ دَخَلَ عَلَيْهِمْ دَمٌ لَيْسَ عَرَبِيًّا، ثُمَّ تَمَّ انْدِمَاجٌ بَيْنَ هَذَا الدَّمِ وَالْعَرَبِ، وَأَصْبَحَتِ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ لِسَانَ الْمَزِيجِ الْجَدِيدِ.

هَؤُلَاءِ -يَعْنِي الْعَرَبَ الْعَدْنَانِيَّةَ- هُمْ عَرَبُ الشَّمَالِ، مَوْطِنُهُمُ الْأَصْلِيُّ مَكَّةُ، وَهُمْ إِسْمَاعِيلُ عليه السلام وَأَبْنَاؤُهُ وَالْجَرَاهِمَةُ الَّذِينَ تَعَلَّمَ مِنْهُمْ إِسْمَاعِيلُ عليه السلام الْعَرَبِيَّةَ، وَصَاهَرَهُمْ، وَنَشَأَ أَوْلَادُهُ عَرَبًا مِثْلَهُمْ.

وَمِنْ أَهَمِّ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ: عَدْنَانُ جَدُّ النَّبِيِّ ﷺ الْأَعْلَىٰ، وَمِنْ عَدْنَانَ كَانَتْ قَبَائِلُ الْعَرَبِ وَبُطُونُهَا، فَقَدْ جَاءَ بَعْدَ عَدْنَانَ ابْنُهُ مَعَدٌّ، ثُمَّ نِزَارٌ، ثُمَّ جَاءَ بَعْدَهُ وَلَدَاهُ مُضَرُ، وَرَبِيعَةُ.

أَمَّا رَبِيعَةُ بْنُ نِزَارٍ فَقَدْ نَزَلَ مَنِ انْحَدَرَ مِنْ صُلْبِهِ شَرْقًا؛ فَقَامَتْ عَبْدُ الْقَيْسِ فِي الْبَحْرَيْنِ، وَحَنِيفَةُ فِي الْيَمَامَةِ، وَبَنُو بَكْرٍ -هُمُ ابْنُ وَائِلٍ- بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ، وَالْيَمَامَةِ، وَعَبَرَتْ تَغْلِبُ الْفُرَاتَ؛ فَأَقَامَتْ فِي أَرْضِ الْجَزِيرَةِ بَيْنَ دِجْلَةَ وَالْفُرَاتِ، وَسَكَنَتْ تَمِيمٌ فِي بَادِيَةِ الْبَصْرَةِ.

أَمَّا فَرْعُ مُضَرَ فَقَدْ نَزَلَتْ سُلَيْمٌ بِالْقُرْبِ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَأَقَامَتْ ثَقِيفٌ فِي الطَّائِفِ، وَاسْتَوْطَنَتْ سَائِرُ هَوَازِنَ شَرْقِيَّ مَكَّةَ، وَسَكَنَتْ أَسَدٌ شَرْقِيَّ تَيْمَاءَ إِلَىٰ غَرْبِيِّ الْكُوفَةِ، وَسَكَنَتْ ذُبْيَانُ وَعَبْسٌ مِنْ تَيْمَاءَ إِلَىٰ حُورَانَ.

وَتَقْسِيمُ الْعَرَبِ إِلَىٰ عَدْنَانِيَّةٍ وَقَحْطَانِيَّةٍ هُوَ مَا عَلَيْهِ جَمْهَرَةٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْأَنْسَابِ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ.

وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَرَىٰ أَنَّ الْعَرَبَ عَدْنَانِيَّةٌ، وَقَحْطَانِيَّةٌ يَنْتَسِبُونَ إِلَىٰ إِسْمَاعِيلَ عليه السلام.

وَقَدْ تَرْجَمَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِهِ» لِذَلِكَ؛ فَقَالَ: «بَابُ نِسْبَةِ الْيَمَنِ - وَهِيَ قَحْطَانِيَّةٌ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْأَنْسَابِ- بَابُ نِسْبَةِ الْيَمَنِ إِلَىٰ إِسْمَاعِيلَ عليه السلام»، وَذَكَرَ الْبُخَارِيُّ فِي ذَلِكَ حَدِيثًا عَنْ سَلَمَةَ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ قَوْمٍ مِنْ أَسْلَمَ يَتَنَاضَلُونَ بِالسُّوقِ، فَقَالَ: «**ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا، وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلَانٍ**» لِأَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ، فَأَمْسَكُوا بِأَيْدِيهِمْ؛ فَقَالَ: «**مَالَهُمْ؟**»

قَالُوا: وَكَيْفَ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَ بَنِي فُلَانٍ؟!

قَالَ: «**ارْمُوا وَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ**».

قَالَ الْبُخَارِيُّ: «وَأَسْلَمُ بْنُ أَفْصَىٰ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ مِنْ خُزَاعَةَ»؛ يَعْنِي أَنَّ خُزَاعَةَ فِرْقَةٌ مِمَّنْ كَانَ تَمَزَّقَ مِنْ قَبَائِلِ سَبَأٍ حِينَ أَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ.

وَوُلِدَ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ مُضَرَ، وَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ كُلَيْبِ بْنِ وَائِلٍ، قَالَ حَدَّثَتْنِي رَبِيبَةُ النَّبِيِّ ﷺ زَيْنَبُ بِنْتُ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ قُلْتُ لَهَا: أَرَأَيْتِ النَّبِيَّ ﷺ أَكَانَ مِنْ مُضَرَ؟

فَقَالَتْ: فَمِنْ مَنْ كَانَ إِلَّا مِنْ مُضَرَ بَنِي النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ.

وَكَانَتْ قُرَيْشٌ قَدِ انْحَدَرَتْ مِنْ كِنَانَةَ، وَهُمْ أَوْلَادُ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ، وَانْقَسَمَتْ قُرَيْشٌ إِلَىٰ قَبَائِلَ شَتَّىٰ مِنْ أَشْهَرِهَا: (جُمَحٌ - وَسَهْمٌ - وَعَدِيٌّ - وَمَخْزُومٌ - وَتَيْمٌ - وَزُهْرَةُ).

وَبُطُونُ قُصَيِّ بْنِ كِلَابٍ هِيَ: (عَبْدُ الدَّارِ بْنُ قُصَيٍّ - وَأَسَدُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّىٰ بْنِ قُصَيٍّ - وَعَبْدُ مَنَافِ بْنُ قُصَيٍّ)، وَكَانَ مِنْ عَبْدِ مَنَافٍ أَرْبَعُ فَصَائِلَ: (عَبْدُ شَمْسٍ - وَنَوْفَلٌ - وَالْمُطَّلِبُ - وَهَاشِمٌ)، وَبَيْتُ هَاشِمٍ هُوَ الَّذِي اصْطَفَىٰ اللهُ مِنْهُ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ، فَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ.

قَالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَىٰ قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَىٰ قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**».

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مِنْ خَصَائِصِ أَرْضِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ

فِي شِبْهِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ حِرَارٌ كَثِيرَةٌ؛ الْحِرَارُ: جَمْعُ حَرَّةٍ، وَهِيَ أَرْضٌ ذَاتُ حِجَارَةٍ سُودٍ نَخِرَةٍ، وَاحِدَتُهَا حَرَّةٌ، وَتُسَمَّىٰ لَابَةً، وَلُوبَةً، وَقَدْ تَكَوَّنَتْ تِلْكَ الْحِرَارُ مِنْ فِعْلِ الْبَرَاكِينِ، وَيُشَاهَدُ مِنْهَا نَوْعَانِ: نَوْعٌ يَتَأَلَّفُ مِنْ فَجَوَاتِ الْبَرَاكِينِ نَفْسِهَا، وَنَوْعٌ يَتَأَلَّفُ مِنْ حُمَمِهَا الَّتِي كَادَتِ الْبَرَاكِينُ تَقْذِفُهَا فَتَسِيلُ عَلَىٰ جَوَانِبِ الْفَتْحَةِ الْبُرْكَانِيَّةِ ثُمَّ تَبْرُدُ، وَتَتَفَتَّتُ بِفِعْلِ التَّقَلُّبَاتِ الْجَوِّيَّةِ؛ فَتُكَوِّنُ رُكَامًا مِنَ الْأَحْجَارِ الْبُرْكَانِيَّةِ الَّتِي تُغَطِّي الْأَرْضَ طَبَقَاتٍ، وَقَدْ تَكُونُ رَقِيقَةً تِلْكَ الطَّبَقَاتُ، وَقَدْ تَكُونُ سَمِيكَةً.

وَاشْتُهِرَتْ كَثِيرٌ مِنْ مَنَاطِقِ الْحِرَارِ بِالْخِصْبِ، وَالنَّمَاءِ، وَبِكَثْرَةِ الْمِيَاهِ لَا سِيَّمَا حِرَارُ الْمَدِينَةِ الَّتِي اسْتُغِلَّتِ اسْتِغْلَالًا جَيِّدًا، وَمِنْهَا خَيْبَرُ؛ حَيْثُ كَانَتْ وَاحَةً عَظِيمَةً، وَتَضُمُّ قُرًىٰ كَانَتْ تَشْتَهِرُ بِأَنْوَاعِ الْمَزْرُوعَاتِ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ.

وَلَيْسَ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ نَهْرٌ وَاحِدٌ بِالْمَعْنَىٰ الْمَعْرُوفِ مِنَ الْأَنْهَارِ، وَإِنَّمَا هِيَ جَدَاوِلُ غَيْرُ صَالِحَةٍ لِلْمِلَاحَةِ، وَهِيَ إِمَّا قَصِيرَةٌ سَرِيعَةُ الْجَرَيَانِ، شَدِيدَةُ الِانْحِدَارِ، وَإِمَّا ضَحْلَةٌ تَجِفُّ فِي بَعْضِ الْمَوَاسِمِ، وَبِهَا كَثِيرٌ مِنَ الْعُيُونِ، وَحَوْلَ هَذِهِ الْعُيُونِ الْوَاحَاتُ وَالْوِدْيَانُ ذَاتُ الْأَشْجَارِ الْوَارِفَةِ، وَتُوجَدُ بِهَا بَعْضُ الْمَزْرُوعَاتِ، وَالْخُضَرِ، وَالْفَاكِهَةِ.

www.menhag-un.com

الْجِنْسُ الَّذِي يَسْكُنُ شِبْهَ الْجَزِيرَةِ

الْجِنْسُ الَّذِي يَسْكُنُ شِبْهَ الْجَزِيرَةِ يُسَمَّىٰ: الْجِنْسَ الْعَرَبِيَّ، وهُوَ أَحَدُ الْأَجْنَاسِ السَّامِيَّةِ، وَلَكِنَّهُ أَكْثَرُهَا مُحَافَظَةً عَلَىٰ خَصَائِصِ السَّامِيِّينَ، وَيَتَكَلَّمُ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ، وَهِيَ إِحْدَىٰ اللُّغَاتِ السَّامِيَّةِ، وَلَكِنَّهَا أَيْضًا أَكْثَرُ مُحَافَظَةً عَلَىٰ خَصَائِصِ اللِّسَانِ السَّامِيِّ، وَتَرْجِعُ هَذِهِ الْمُحَافَظَةُ إِلَىٰ طَبِيعَةِ الْحَيَاةِ فِي شِبْهِ الْجَزِيرَةِ، وَهِيَ طَبِيعَةُ الِانْعِزَالِيَّةُ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَىٰ الْأَنْسَابِ وَالْأَحْسَابِ، وَعَدَمِ التَّزَوُّجِ مِنْ غَيْرِهِمْ أَوْ تَزْوِيجِهِ مِنْهُمْ، وَقَدْ حَرَسَتْ هَذِهِ الْحَيَاةُ الْجِنْسَ الْعَرَبِيَّ، وَاللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ مِنَ الْهَجَمَاتِ الَّتِي تَعَرَّضَ لَهَا غَيْرُ الْعَرَبِ مِنَ السَّامِيِّينَ، وَغَيْرُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ فُرُوعِ اللِّسَانِ السَّامِيِّ.

وَالْأُمَّةُ الْعَرَبِيَّةُ قَدْ عَدَّهَا بَعْضُ عُلَمَاءِ التَّشْرِيحِ نَمُوذَجًا لِلتَّقْوِيمِ الْبَشَرِيِّ الْكَامِلِ أَنْثُرُوبِيُولُوجِيَا، وَلُغَتُهَا أَرْقَىٰ اللُّغَاتِ الْحَيَّةِ عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ، وَأَثْرَاهَا وَأَخَفُّهَا عَلَىٰ اللِّسَانِ، وَأَعْذَبُهَا عَلَىٰ السَّمْعِ، وَأَشْمَلُهَا لِمُقَوِّمَاتِ الْآدَابِ وَالْعُلُومِ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَالتَّرَاكِيبِ.

وَالْأُمَّةُ الْعَرَبِيَّةُ مِنْ أَقْدَمِ الْأُمَمِ وَأَشْهَرِهَا؛ كَانَ لَهَا فِي التَّارِيخِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ آثَارٌ مَا تَزَالُ بَاقِيَةً إِلَىٰ الْآنَ، وَقَدْ خَلَّدَ اللهُ تَعَالَىٰ وُجُودَهَا بِأَنِ اخْتَارَ

مِنْهَا خَاتَمَ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، وَهُوَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ؛ فَكَانَ شَاهِدَ صِدْقٍ عَلَىٰ أَنَّهَا الْأُمَّةُ الْجَدِيرَةُ بِقِيَادَةِ الْعَالَمِ إِذَا عَضَّتْ بِالنَّوَاجِذِ عَلَىٰ هَذَا الدِّينِ الَّذِي هُوَ خَاتَمُ الْأَدْيَانِ وَأَوْفَاهَا بِحَاجَةِ الْبَشَرِ.

كَمَا خَلَّدَ لُغَتَهَا حِينَ جَعَلَ آيَةَ خَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ الْعُظْمَىٰ وَحْيًا يُتْلَىٰ، وَقُرْآنًا عَرَبِيًّا مُبِينًا بَاقِيًا مَا بَقِيَ مُسْلِمٌ عَلَىٰ هَذِهِ الْأَرْضِ، وَمَا مِنْ أُمَّةٍ إِسْلَامِيَّةٍ إِلَّا وَتَارِيخُهَا يَمْتَزِجُ بِتَأْرِيخِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَلِهَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي حَمَلَتْ لِوَاءَ الْإِسْلَامِ إِلَىٰ الدُّنْيَا كُلِّهَا فَضْلٌ عَلَيْهَا.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

السُّلَالَاتُ الْعَرَبِيَّةُ وَمَا انْحَدَرَ مِنْهَا مِنْ قَبَائِل

الْعَرَبُ -كَمَا مَرَّ- يُقَسِّمُهُمْ عُلَمَاءُ الْأَنْسَابِ إِلَىٰ:

عَرَبٍ بَائِدَةٍ: وَهِيَ قَبَائِلُ عَادٍ، وَثَمُودَ، وَالْعَمَالِقَةِ، وَطَسْمٍ، وَجَدِيْسٍ، وَأُمَيْمٍ، وَجُرْهُمٍ، وَحَضْرَمَوْتَ، وَمَنْ يَتَّصِلُ بِهِمْ.

هَذِهِ بَادَتْ، وَفَنِيَتْ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، وَكَانَ لَهُمْ مُلُوكٌ امْتَدَّ مُلْكُهُمْ إِلَىٰ الشَّامِ وَمِصْرَ.

وَالْمُؤَرِّخُونَ يُقَسِّمُونَ الْعَرَبَ الْبَائِدَةِ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ:

الْعَمَالِقَةِ: وَهُمْ نَسْلُ لَاوِذِ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ، وَمَنْ عَدَاهُمْ مِنْ نَسْلِ إِرَمَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ.

فَالْأَوَّلُونَ يُقَالُ لَهُمُ: السَّامِيُّونَ، وَالْآخَرُونَ الْآرَامِيُّونَ.

وَالْعَمَالِيقُ مَلَكُوا مِصْرَ مُدَّةً، وَأَسَّسُوا فِيهَا أُسْرَةً مُلُوكِيَّةً، وَمَلَكُوا الْعِرَاقَ وَأَسَّسُوا بِهَا دَوْلَةً تُسَمَّىٰ دَوْلَةَ حَمُورَابِي، وَهُوَ أَوَّلُ مُلُوكِهِمُ، الَّذِي عُرِفَ بِالْقَانُونِ الْمَشْهُورِ -قَانُونِ حَمُورَابِي-، وَذَلِكَ فِي الْقَرْنِ الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ قَبْلَ الْمِيلَادِ.

وَالْعَرَبُ الْبَاقِيَةُ هُمُ الْقَحْطَانِيُّونَ، وَالْعَدْنَانِيُّونَ.

www.menhaj-in.com

الْقَحْطَانِيُّونَ: هُمْ أَوْلَادُ قَحْطَانَ الَّذِينَ كَانُوا يَسْكُنُونَ الْجَنُوبَ، الْيَمَنَ وَمَا حَوْلَهَا، وَمِنْهُمْ مُلُوكُ الْيَمَنِ، وَمَمْلَكَةُ مَعِينٍ، وَسَبَأٍ، وَحِمْيَرَ، وَخَرَجَتْ مِنْهُمْ جَمَاعَاتٌ وَقَبَائِلُ فِي ظُرُوفٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْ أَهَمِّهَا: انْهِيَارُ سَدِّ مَأْرِبٍ، وَنَزَلُوا بِأَجْزَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

وَمِنْ هَؤُلَاءِ: اللَّخْمِيُّونَ الَّذِينَ نَزَلُوا الْحِيرَةَ عَلَىٰ تُخُومِ فَارِسَ، وَكَوَّنُوا مُلْكًا بِهَا، وَمِنْهُمْ أَيْضًا أَوْلَادُ جَفْنَةَ، وَهُمْ مُلُوكُ الْغَسَاسِنَةِ الَّذِينَ كَانُوا يَسْكُنُونَ عَلَىٰ حُدُودِ بِلَادِ الرُّومِ، وَمِنْهُمْ مُلُوكُ كِنْدَةَ الَّذِينَ كَانُوا بِحَضْرَمَوْتَ، وَكَانَ مِنْهُمْ أَبُو امْرِئِ الْقَيْسِ، كَمَا أَنَّ مِنْهُمُ الْأَسَدَ الَّذِينَ تَفَرَّعَ مِنْهُمُ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ، وَمِنْهُمُ الْجَرَاهِمَةُ الَّذِينَ حَطُّوا رِحَالَهُمْ بِالْقُرْبِ مِنْ وَادِي مَكَّةَ، وَاتَّصَلَ بِهِمْ نَبِيُّ اللهِ إِسْمَاعِيلُ لَمَّا كَبُرَ وَصَاهَرَهُمْ، وَالْقَحْطَانِيُّونَ يُقَالُ لَهُمُ: الْعَرَبُ الْعَارِبَةُ.

الْعَدْنَانِيَّةُ: نِسْبَةً إِلَىٰ عَدْنَانَ، الَّذِي يَنْتَهِي نَسَبُهُ إِلَىٰ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عليهما السلام، وَهُمُ الْمَعْرُوفُونَ بِالْعَرَبِ الْمُسْتَعْرِبَةِ، أَيِ: الَّذِينَ دَخَلَ عَلَيْهِمْ دَمٌ لَيْسَ عَرَبِيًّا، ثُمَّ تَمَّ الِانْدِمَاجُ بَيْنَ هَذَا الدَّمِ وَبَيْنَ الْعَرَبِ، وَأَصْبَحَتِ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ لِسَانَ الْمَزِيجِ الْجَدِيدِ، هَؤُلَاءِ هُمْ عَرَبُ الشَّمَالِ، هَؤُلَاءِ الْعَدْنَانِيَّةُ هُمْ عَرَبُ الشَّمَالِ، وَمَوْطِنُهُمُ الْأَصْلِيُّ مَكَّةُ، وَهُمْ إِسْمَاعِيلُ وَأَبْنَاؤُهُ، وَالْجَرَاهِمَةُ الَّذِينَ تَعَلَّمَ مِنْهُمْ إِسْمَاعِيلُ الْعَرَبِيَّةَ وَصَاهَرَهُمْ، وَنَشَأَ أَوْلَادُهُ عَرَبًا مِثْلَهُمْ، وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ عَدْنَانُ جَدُّ النَّبِيِّ ﷺ الْأَعْلَىٰ، وَمِنْ عَدْنَانَ كَانَتْ قَبَائِلُ الْعَرَبِ، وَبُطُونُهَا فَقَدْ جَاءَ بَعْدَ عَدْنَانَ ابْنُهُ مَعَدٌّ، ثُمَّ نِزَارٌ ثُمَّ جَاءَ بَعْدَهُ وَلَدَاهُ رَبِيعَةُ وَمُضَرُ، وَمِنْهُمَا كَانَتْ مُعْظَمُ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ.

مِنْ أَشْهَرِ قَبَائِلِ مُضَرَ: هَوَازِنُ، وَغَطَفَانُ، وَتَمِيمٌ، وَعَدِيٌّ، وَقُرَيْشٌ.

وَمِنْ أَشْهَرِ قَبَائِلِ رَبِيعَةَ: عَبْدُ الْقَيْسِ، وَبَكْرٌ، وَتَغْلِبُ، وَحَنِيفَةُ.

وَلَمْ تَتَّسِعْ مَكَّةُ وَمَا جَاوَرَهَا لِعَرَبِ الشَّمَالِ؛ فَبَدَؤُوا يُهَاجِرُونَ، يَبْحَثُونَ عَنْ مَسَاقِطِ الْمَاءِ، وَمَنَابِتِ الْعُشْبِ؛ فَنَزَلَ عَبْدُ الْقَيْسِ بِالْبَحْرَيْنِ، وَنَزَلَ بَنُو حَنِيفَةَ بِالْيَمَامَةِ، وَنَزَلَ بَنُو هَوَازِنَ بِنَوَاحِي أَوْطَاسٍ، وَهَكَذَا تَفَرَّقَتِ الْقَبَائِلُ فِي رُبُوعِ الْجَزِيرَةِ، وَالْعَدْنَانِيُّونَ يُقَالُ لَهُمْ: الْعَرَبُ الْمُسْتَعْرِبَةُ؛ لِأَنَّ جَدَّهُمُ الْأَعْلَىٰ -وَهُوَ إِسْمَاعِيلُ- تَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ وَتَلَقَّنَهَا مِنْ جُرْهُمٍ.

أَمَّا قُضَاعَةُ: فَقَدِ اخْتُلِفَ فِيهِمْ، فَقِيلَ: إِنَّهُمْ عَدْنَانِيُّونَ وَعَلَيْهِ الْأَكْثَرُ، وَقِيلَ: إِنَّهُمْ مِنْ قَحْطَانَ وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ إِسْحَاقَ وَالْكَلْبِيِّ، وَطَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ النَّسَبِ.

وَهَذَا الَّذِي ذُكِرَ مِنْ تَقْسِيمِ الْعَرَبِ إِلَىٰ عَدْنَانِيَّةٍ وَقَحْطَانِيَّةٍ هُوَ مَا عَلَيْهِ جَمْهَرَةٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْأَنْسَابِ وَغَيْرِهِمْ.

وَمِنَ الْعُلَمَاءِ -كَمَا مَرَّ- مَنْ يَرَىٰ أَنَّ الْعَرَبَ عَدْنَانِيَّةٌ، وَقَحْطَانِيَّةٌ يَنْتَسِبُونَ إِلَىٰ إِسْمَاعِيلَ عليه السلام، وَقَدْ مَرَّ حَدِيثُ الْبُخَارِيِّ فِي ذَلِكَ.

كَلِمَةُ الْعَـرَبِ: تُنْبِئُ عَنِ الصَّحَارِي وَالْقِفَارِ، وَالْأَرْضِ الْمُجْدِبَةِ الَّتِي لَا مَاءَ فِيهَا وَلَا نَبَاتَ، وَقَدْ أُطْلِقَ هَذَا اللَّفْظُ مُنْذُ أَقْدَمِ الْعُصُورِ عَلَىٰ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، كَمَا أُطْلِقَ عَلَىٰ قَوْمٍ قَطَنُوا تِلْكَ الْأَرْضَ، وَاتَّخَذُوهَا مَوْطِنًا لَهُمْ.

www.menhag-un.com

أَهَمِيَّةُ مَوْقِعِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ

لِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ أَهَمِّيَّةٌ بَالِغَةٌ مِنْ حَيْثُ مَوْقِعُهَا الطَّبِيعِيُّ، وَالْجُغْرَافِيُّ؛ فَإِنَّهَا فِي وَضْعِهَا الدَّاخِلِيِّ مُحَاطَةٌ بِالصَّحَارِىٰ وَالرِّمَالِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَلِأَجْلِ هَذَا الْوَضْعِ صَارَتِ الْجَزِيرَةُ حِصْنًا مَنِيعًا لَمْ يَسْتَطِعِ الْأَجَانِبُ أَنْ يَحْتَلُّوهَا وَيَبْسُطُوا عَلَيْهَا سَيْطَرَتَهُمْ وَنُفُوذَهُمْ؛ لِذَلِكَ نَرَىٰ سُكَّانَ الْجَزِيرَةِ أَحْرَارًا فِي جَمِيعِ الشُّؤُونِ مُنْذُ أَقْدَمِ الْعُصُورِ، مَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا مُجَاوِرِينَ لِإِمْبَرَاطُورِيَّتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ لَمْ يَسْتَطِيعُوا صَدَّ هَجَمَاتِهِمَا لَوْلَا هَذَا السَّدُّ الْمَنِيعُ.

وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ الْخَارِجِ: فَإِنَّهَا تَقَعُ بَيْنَ الْقَارَّاتِ الْمَعْرُوفَةِ فِي الْعَالَمِ الْقَدِيمِ، وَتَلْتَقِي بِهَا بَرًّا وَبَحْرًا؛ فَإِنَّهَا فِي نَاحِيَتِهَا الشَّمَالِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ بَابٌ لِلدُّخُولِ فِي قَارَّةِ أَفْرِيقْيَا، وَأَمَّا نَاحِيَتُهَا الشَّمَالِيَّةُ الشَّرْقِيَّةُ فَهِيَ مِفْتَاحٌ لِقَارَّةِ أُورُبَّا.

وَالنَّاحِيَةُ الشَّرْقِيَّةُ تَفْتَحُ أَبْوَابَ الْعَجَمِ، وَمِنْ ثَمَّ آسْيَا الْوُسْطَىٰ، وَأَمَّا فِي الْجَنُوبِ وَالشَّرْقِ الْبَعِيدِ فَإِنَّهَا كَذَلِكَ مَفْتُوحَةٌ مِنَ النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ، وَتَلْتَقِي كُلُّ قَارَّةٍ بِالْجَزِيرَةِ بَحْرًا، وَتُرْسِي سُفُنَهَا وَبَوَاخِرَهَا عَلَىٰ مِينَاءِ الْجَزِيرَةِ رَأْسًا؛ لِأَجْلِ هَذَا الْوَضْعِ الْجُغْرَافِيِّ كَانَ شَمَالُ الْجَزِيرَةِ، وَجَنُوبُهَا مَوْئِلًا لِلْأُمَمِ، وَمَرْكَزًا لِلتَّبَادُلِ التِّجَارِيِّ، وَالثَّقَافِيِّ، وَالدِّينِيِّ، وَالْفَنِّيِّ.

تَقْسِيمَاتُ الْعَرَبِ لِلْعَدْنَانِيَّةِ، وَالْعَرَبِ الْقَحْطَانِيَّةِ مَعَ تَفَاصِيلِ ذَلِكَ نَافِعٌ جِدًّا أَثْنَاءَ النَّظَرِ فِي سِيرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِأَنَّ التَّرْكِيبَةَ الْعِرْقِيَّةَ وَمَا كَانَ مِنْ أُصُولِ الْأَنْسَابِ كَانَ لَهُ دَخْلٌ كَبِيرٌ جِدًّا فِي مَسِيرَةِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي عَصْرِ النَّبِيِّ ﷺ؛ فَبَيْنَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحَارَبُ مِنْ قُرَيْشٍ لَمَّا فَرَضُوا عَلَيْهِ الْحِصَارَ، وَدَخَلَ الشِّعْبَ؛ دَخَلَ مَعَهُ ﷺ مِنْ قَوْمِهِ مَنْ هُوَ مُحَارِبٌ لَهُ، وَغَيْرُ مُؤْمِنٍ بِدَعْوَتِهِ، وَبَقِيَ مَعَهُ فِي الشِّعْبِ يُعَانِي مِنَ الْجُوعِ وَالظَّمَإِ ثَلَاثَةَ أَعْوَامٍ! وَكُلُّ ذَلِكَ كَانَ عَصَبِيَّةً، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَجْلِ الدِّينِ، وَلَا مِنْ أَجْلِ الْإِسْلَامِ؛ فَمَعْرِفَةُ مَا كَانَ عَلَيْهِ هَذَا الْوَضْعُ الْعِرْقِيُّ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ النَّبَوِيِّ مِمَّا يُعِينُ عَلَىٰ فَهْمِ كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْدَاثِ الَّتِي وَقَعَتْ فِي أَثْنَاءِ مَسِيرَةِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْعَهْدِ النَّبَوِيِّ.

◉ قَحْطَانُ وَمَا تَفَرَّعَ مِنْها:

الْعَرَبُ الْعَارِبَةُ: شَعْبُ قَحْطَانَ، مَهْدُهُمْ بِلَادُ الْيَمَنِ، تَشَعَّبَتْ قَبَائِلُهَا وَبُطُونُهَا مِنْ وَلَدِ سَبَأِ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ يَعْرُبَ بْنِ قَحْطَانَ، وَاشْتُهِرَتْ مِنْهَا قَبِيلَتَانِ حِمْيَرُ بْنُ سَبَأٍ، وَكَهْلَانُ بْنُ سَبَأٍ، أَمَّا بَقِيَّةُ بَنِي سَبَأٍ، وَهُمْ أَحَدَ عَشَرَ أَوْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ بَطْنًا؛ فَيُقَالُ لَهُمُ: السَّبَئِيُّونَ، وَلَيْسَتْ لَهُمْ قَبَائِلُ دُونَ سَبَأٍ.

أَمَّا حِمْيَرُ فَأَشْهَرُ بُطُونِهَا قُضَاعَةُ، وَمِنْهَا بَهْرَاءُ، وَبَلِيٌّ، وَالْقَيْنُ، وَكَلْبٌ، وَعُذْرَةُ، وَوَبَرَةُ، وَمِنْهَا أَيْضًا -وَهُوَ أَشْهَرُ بُطُونِهَا- السَّكَاسِكُ، وَهُمْ بَنُو زَيْدِ بْنِ وَائِلَةَ بْنِ حِمْيَرَ، وَلُقِّبَ زَيْدَ السَّكَاسِكِ، وَهِيَ غَيْرُ سَكَاسِكِ كِنْدَةَ الْآتِيَةِ فِي

بَنِي كَهْلَانَ؛ مِنْهَا زَيْدُ الْجُمْهُورِ، وَمِنْهَا حِمْيَرُ الْأَصْغَرُ، وَسَبَأُ الْأَصْغَرُ، وَحَضُورٌ، وَذُو أَصْبَحَ.

وَأَمَّا كَهْلَانُ فَأَشْهَرُ بُطُونِهَا: هَمْدَانُ، وَأَلْهَانُ، وَالْأَشْعَرُ، وَطَيِّئٌ، وَمَذْحِجٌ، وَمِنْ مَذْحِجٍ عَنْسٌ، وَالنَّخَعُ، وَلَخْمٌ، وَمِنْ لَخْمٍ كِنْدَةُ، (وَمِنْ كِنْدَةَ بَنُو مُعَاوِيَةَ، وَالسَّكُونُ، وَالسَّكَاسِكُ)، وَجُذَامٌ، وَعَامِلَةُ، وَخَوْلَانُ، وَمَعَافِرُ، وَأَنْمَارٌ، وَمِنْ أَنْمَارٍ خَثْعَمٌ، وَبَجِيلَةُ، وَمِنْ بَجِيلَةَ أَحْمَسُ، وَالْأَزْدُ، وَمِنَ الْأَزْدِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ، وَخُزَاعَةُ، وَأَوْلَادُ جَفْنَةَ مُلُوكُ الشَّامِ الْمَعْرُوفُونَ بِآلِ غَسَّانَ.

فَالْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ مِنَ الْأَسْدِ، وَأَصْلُهُمْ يَعُودُ إِلَىٰ كَهْلَانَ، وَهُمْ يَعُودُونَ إِلَىٰ الْعَرَبِ الْعَارِبَةِ، وَهُمُ الْعَرَبُ الْقَحْطَانِيَّةُ، وَقَدْ هَاجَرُوا بَعْدَمَا وَقَعَ بِالْيَمَنِ مِنَ انْهِيَارِ سَدِّ مَأْرِبٍ إِلَىٰ يَثْرِبَ، وَكَانُوا هُنَالِكَ مِنْ أَوْسٍ، وَخَزْرَجٍ حَتَّىٰ هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ، وَهُمْ أَنْصَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَقَعَتْ هِجْرَاتٌ كَثِيرَةٌ مِنْ هَذِهِ الْقَبَائِلِ، وَانْضَمَّتِ الْبُطُونُ الصَّغِيرَةُ إِلَىٰ الْقَبَائِلِ فِي الْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْحِجَازِ وَالشَّامِ، حَتَّىٰ كَانَ الْوَضْعُ عَلَىٰ مَا هُوَ عَلَيْهِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

النَّبِيُّ ﷺ عَدْنَانِيٌّ مِنَ الْعَرَبِ الْمُسْتَعْرِبَةِ أَصْلُ جَدِّهِمُ الْأَعْلَىٰ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ إِبْرَاهِيمُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- مِنْ بِلَادِ الْعِرَاقِ، مِنْ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: «أُورُ» عَلَىٰ الشَّاطِئِ الْغَرْبِيِّ مِنْ نَهْرِ الْفُرَاتِ بِالْقُرْبِ مِنَ الْكُوفَةِ.

وَقَدْ جَاءَتِ الْحَفْرِيَّاتُ وَالتَّنْقِيبَاتُ بِتَفَاصِيلَ وَاسِعَةٍ عَنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ، وَعَنْ أُسْرَةِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، وَعَنِ الْأَحْوَالِ الدِّينِيَّةِ، وَالِاجْتِمَاعِيَّةِ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ؛ مَعْلُومٌ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام هَاجَرَ مِنْهَا إِلَىٰ حَارَانَ أَوْ حَرَّانَ، وَمِنْهَا إِلَىٰ فِلَسْطِينَ فَاتَّخَذَهَا قَاعِدَةً لِدَعْوَتِهِ، وَكَانَتْ لَهُ جَوْلَاتٌ فِي أَرْجَائِهَا، وَأَرْجَاءِ غَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ، وَفِي إِحْدَىٰ هَذِهِ الْجَوْلَاتِ أَتَىٰ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام عَلَىٰ جَبَّارٍ مِنَ الْجَبَابِرَةِ، وَمَعَهُ زَوْجَتُهُ سَارَةُ، وَكَانَتْ مِنْ أَحْسَنِ النِّسَاءِ، فَأَرَادَ ذَلِكَ الْجَبَّارُ أَنْ يَكِيدَ بِهَا، وَلَكِنَّ سَارَةَ دَعَتِ اللهَ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ؛ فَرَدَّ اللهُ كَيْدَهُ فِي نَحْرِهِ، وَعَرَفَ الظَّالِمُ أَنَّ سَارَةَ امْرَأَةٌ صَالِحَةٌ ذَاتُ مَرْتَبَةٍ عَالِيَةٍ عِنْدَ اللهِ فَأَخْدَمَهَا هَاجَرَ؛ اعْتِرَافًا بِفَضْلِهَا أَوْ خَوْفًا مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَهَبَتْهَا سَارَةُ لِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام.

الْمَعْرُوفُ أَنَّ ذَلِكَ الْجَبَّارَ كَانَ مِنْ فَرَاعِنَةِ مِصْرَ، وَأَنَّ هَاجَرَ كَانَتْ أَمَةً مَمْلُوكَةً لَهُ، وَلَكِنْ رَجَّحَ الْكَاتِبُ الْكَبِيرُ الْعَلَّامَةُ الْقَاضِي مُحَمَّدُ سُلَيْمَان الْمَنْصُورفُورِيّ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ هَاجَرَ كَانَتْ حُرَّةً، وَكَانَتِ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ، وَاسْتَنَدَ لِذَلِكَ إِلَىٰ مَا كَتَبَهُ الْمُحَقِّقُونَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي شُرُوحِ صَحَائِفِهِمْ.

قَالَ ابْنُ خَلْدُونَ -وَهُوَ يَحْكِي حِوَارًا دَارَ بَيْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، وَبَيْنَ أَهْلِ مِصْرَ-: «أَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ: إِنَّ هَاجَرَ كَانَتِ امْرَأَةً لِمَلِكٍ مِنْ مُلُوكِنَا، وَوَقَعَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَهْلِ عَيْنِ شَمْسٍ حُرُوبٌ كَانَتْ لَهُمْ فِي بَعْضِهَا دَوْلَةٌ فَقَتَلُوا الْمَلِكَ، وَسَبَوْا هَاجَرَ، وَمِنْ هُنَاكَ تَسَيَّرَتْ إِلَىٰ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ».

يَعْنِي أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ مَمْلُوكَةً، وَإِنَّمَا كَانَتْ حُرَّةً بَلْ كَانَتْ ابْنَةَ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ مِصْرَ؛ فَلَمَّا وَهَبَهَا فِرْعَوْنُ لِسَارَةَ، وَهَبَتْهَا سَارَةُ لِإِبْرَاهِيمَ.

رَجَعَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام إِلَىٰ قَاعِدَتِهِ فِي فِلَسْطِينَ، ثُمَّ رَزَقَهُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ هَاجَرَ ابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ، وَصَارَ سَبَبًا لِغَيْرَةِ سَارَةَ؛ حَتَّىٰ أَلْجَأَتْ إِبْرَاهِيمَ إِلَىٰ نَفْيِ هَاجَرَ مَعَ وَلَدِهَا الرَّضِيعِ إِسْمَاعِيلَ؛ فَقَدِمَ بِهِمَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام إِلَىٰ الْحِجَازِ، وَأَسْكَنَهُمَا بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِ اللهِ الْمُحَرَّمِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ إِذْ ذَاكَ إِلَّا مُرْتَفَعًا مِنَ الْأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ تَأْتِيهِ السُّيُولُ فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، فَوَضَعَهُمَا عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَىٰ الْمَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، فَتَرَكَ لَهُمْ جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، وَرَجَعَ إِلَىٰ فِلَسْطِينَ، وَلَمْ تَمْضِ أَيَّامٌ حَتَّىٰ نَفِذَ الْمَاءُ وَالزَّادُ، وَهُنَاكَ تَفَجَّرَتْ بِئْرُ زَمْزَمَ -بِفَضْلِ اللهِ-؛ فَصَارَتْ لَهُمَا قُوتًا وَبَلَاغًا إِلَىٰ حِينٍ؛ وَالْقِصَّةُ مَعْرُوفَةٌ بِطُولِهَا.

جَاءَتْ قَبِيلَةٌ يَمَانِيَةٌ، وَهِيَ جُرْهُمٌ الثَّانِيَةُ؛ فَقَطَنَتْ مَكَّةَ بِإِذْنٍ مِنْ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ، يُقَالُ: إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ فِي الْأَوْدِيَةِ الَّتِي بِأَطْرَافِ مَكَّةَ، وَصَرَّحَتْ رِوَايَةُ الْبُخَارِيِّ أَنَّهُمْ نَزَلُوا مَكَّةَ بَعْدَ إِسْمَاعِيلَ، وَقَبْلَ أَنْ يَشِبَّ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا يَمُرُّونَ بِهَذَا الْوَادِي قَبْلَ ذَلِكَ.

www.menhag-un.com

رِحْلَاتُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام إِلَى مَكَّةَ

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام يَرْتَحِلُ إِلَىٰ مَكَّةَ؛ لِيُطَالِعَ تَرِكَتَهُ فِيهَا، وَلَا يُعْلَمُ بِالضَّبْطِ عَدَدُ هَذِهِ الرِّحْلَاتِ إِلَّا أَنَّ الْمَصَادِرَ الْمُعْتَمَدَةَ حَفِظَتْ لَنَا أَرْبَعَ رِحْلَاتٍ لِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام رَحَلَهَا إِلَىٰ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ.

ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ أَنَّهُ أَرَىٰ إِبْرَاهِيمَ فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ يَذْبَحُ إِسْمَاعِيلَ، فَقَامَ بِامْتِثَالِ هَذَا الْأَمْرِ؛ ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ﴾ [الصافات: ١٠٣- ١٠٧].

وَقَدْ ذُكِرَ فِي «سِفْرِ التَّكْوِينِ» أَنَّ إِسْمَاعِيلَ كَانَ أَكْبَرَ مِنْ إِسْحَاقَ بِثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَسِيَاقُ الْقِصَّةِ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهَا وَقَعَتْ قَبْلَ مِيلَادِ إِسْحَاقَ؛ لِأَنَّ الْبِشَارَةَ بِإِسْحَاقَ ذُكِرَتْ بَعْدَ سَرْدِ الْقِصَّةِ بِتَمَامِهَا، وَهَذِهِ الْقِصَّةُ تَتَضَمَّنُ رِحْلَةً وَاحِدَةً عَلَىٰ الْأَقَلِّ قَبْلَ أَنْ يَشِبَّ إِسْمَاعِيلُ.

أَمَّا الرِّحْلَاتُ الثَّلَاثُ الْأُخَرُ فَقَدْ رَوَاهَا الْبُخَارِيُّ بِطُولِهَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا، وَمُلَخَّصُهَا:

أَنَّ إِسْمَاعِيلَ عليه السلام لَمَّا شَبَّ وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْ جُرْهُمٍ، وَأَنْفَسَهُمْ - وَأَعْجَبَهُمْ- زَوَّجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ، وَمَاتَتْ أُمُّهُ، وَبَدَا لِإِبْرَاهِيمَ أَنْ يُطَالِعَ تَرِكَتَهُ، فَجَاءَ

بَعْدَ هَذَا الزَّوَاجِ فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ، فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ وَعَنْ أَحْوَالِهِمَا، فَشَكَتْ إِلَيْهِ ضِيقَ الْعَيْشِ! فَأَوْصَاهَا أَنْ تَقُولَ لِإِسْمَاعِيلَ أَنْ يُغَيِّرَ عَتَبَةَ بَابِهِ، وَفَهِمَ إِسْمَاعِيلُ مَا أَرَادَ أَبُوهُ فَطَلَّقَ امْرَأَتَهُ تِلْكَ، وَتَزَوَّجَ امْرَأَةً أُخْرَىٰ، وَهِيَ ابْنَةُ مُضَاضِ بْنِ عَمْرٍو كَبِيرِ جُرْهُمٍ، وَسَيِّدُهُمْ عَلَىٰ قَوْلِ الْأَكْثَرِ.

وَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام مَرَّةً أُخْرَىٰ بَعْدَ أَنْ تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ هَذِهِ الزَّوْجَةَ الثَّانِيَةَ فَلَمْ يَجِدْهُ! فَرَجَعَ إِلَىٰ فِلَسْطِينَ بَعْدَ أَنْ سَأَلَ زَوْجَتَهُ عَنْهُ، وَعَنْ أَحْوَالِهِمَا، فَأَثْنَتْ عَلَىٰ اللهِ خَيْرًا؛ فَأَوْصَىٰ إِسْمَاعِيلَ أَنْ يُثَبِّتَ عَتَبَةَ بَابِهِ، ثُمَّ جَاءَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام بَعْدَ ذَلِكَ فَلَقِيَ إِسْمَاعِيلَ وَهُوَ يَبْرِي نَبْلًا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيبًا مِنْ زَمْزَمَ، فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إِلَيْهِ فَصَنَعَ كَمَا يَصْنَعُ الْوَالِدُ بِالْوَلَدِ، وَالْوَلَدُ بِالْوَالِدِ، وَكَانَ لِقَاؤُهُمَا بَعْدَ فَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ مِنَ الزَّمَنِ قَلَّمَا يَصْبِرُ فِيهَا الْأَبُ الْكَبِيرُ الْأَوَّاهُ الْعَطُوفُ عَنْ وَلَدِهِ، وَالْوَلَدُ الْبَارُّ الصَّالِحُ الرَّشِيدُ عَنْ أَبِيهِ؛ وَفِي هَذِهِ الْمَرَّةِ بَنَيَا الْكَعْبَةَ، وَرَفَعَا قَوَاعِدَهَا، وَأَذَّنَ إِبْرَاهِيمُ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ.

www.menhag-un.com

أَبْنَاءُ إِسْمَاعِيلَ عليه السلام، وَمَا انْحَدَرَ مِنْهُمْ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ

وَقَدْ رَزَقَ اللهُ إِسْمَاعِيلَ مِنِ ابْنَةِ مُضَاضٍ اثْنَيْ عَشَرَ ذَكَرًا، وَهُمْ: (نَابِتٌ، وَنَبَايُوطٌ، وَقَيْدَارٌ، وَأَدْبَائِيلُ، وَمِبْشَامٌ، وَمِشْمَاعٌ، وَدَوْمَا، وَمِيشَن، وَحَدَدٌ، وَتَيْمَا، وَيَطُورٌ، وَنَفِيسٌ، وَقَيْدُمَانُ)، وَتَشَعَّبَتْ مِنْ هَؤُلَاءِ اثْنَتَا عَشْرَةَ قَبِيلَةً سَكَنَتْ كُلُّهَا فِي مَكَّةَ مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ، وَكَانَتْ جُلُّ مَعِيشَتِهِمْ إِذْ ذَاكَ بِالتِّجَارَةِ مِنْ بِلَادِ الْيَمَنِ إِلَىٰ بِلَادِ الشَّامِ وَمِصْرَ، ثُمَّ انْتَشَرَتْ هَذِهِ الْقَبَائِلُ فِي أَرْجَاءِ الْجَزِيرَةِ، بَلْ وَإِلَىٰ خَارِجِهَا، ثُمَّ أُدْرِجَتْ أَحْوَالُهُمْ فِي غَيَاهِبِ الزَّمَانِ إِلَّا أَوْلَادَ نَابِتٍ، وَقَيْدَارٍ.

وَقَدِ ازْدَهَرَتْ حَضَارَةُ الْأَنْبَاطُ أَبْنَاءُ نَابِتٍ فِي شَمَالِ الْحِجَازِ، وَكَوَّنُوا دَوْلَةً قَوِيَّةً عَاصِمَتُهَا «الْبَتْرَاءُ» الْمَدِينَةُ الْأَثَرِيَّةُ الْقَدِيمَةُ الْمَعْرُوفَةُ فِي جَنُوبِ الْأُرْدُنِّ، وَقَدْ دَانَ لِهَذِهِ الدَّوْلَةِ النَّبَطِيَّةِ مَنْ بِأَطْرَافِهَا، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يُنَاوِئَهَا حَتَّىٰ جَاءَ الرُّومَانُ وَقَضَوْا عَلَيْهَا.

وَقَدْ جَنَحَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْأَنْسَابِ إِلَىٰ أَنَّ مُلُوكَ آلِ غَسَّانَ، وَكَذَا الْأَنْصَارُ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، إِنَّمَا كَانُوا مِنْ أَوْلَادِ نَابِتِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، وَبَقَايَاهُمْ فِي تِلْكَ الدِّيَارِ، وَإِلَيْهِ مَالَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِهِ»، فَقَدْ عَقَدَ بَابًا عُنْوَانُهُ: «نِسْبَةُ الْيَمَنِ إِلَىٰ إِسْمَاعِيلَ عليه السلام»، وَاسْتَدَلَّ

عَلَيْهِ بِبَعْضِ الْأَحَادِيثِ، وَرَجَّحَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «شَرْحِهِ» أَنَّ قَحْطَانَ مِنْ آلِ نَابِتِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عليه السلام.

وَأَمَّا قَيْدَارُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ فَلَمْ يَزَلْ أَبْنَاؤُهُ بِمَكَّةَ يَتَنَاسَلُونَ هُنَاكَ حَتَّىٰ كَانَ مِنْهُ عَدْنَانُ وَوَلَدُهُ مَعَدٌّ، وَمِنْهُ حُفِظَتِ الْعَرَبُ الْعَدْنَانِيَّةُ، وَحُفِظَتْ أَنْسَابُهَا.

عَدْنَانُ: هُوَ الْجَدُّ الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ فِي سِلْسِلَةِ نَسَبِ نَبِيِّنَا الْمَأْمُونِ ﷺ، وَقَدْ وَرَدَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا انْتَسَبَ فَبَلَغَ عَدْنَانَ يُمْسِكُ، وَيَقُولُ: «**كَذَبَ النَّسَّابُونَ**» فَلَا يَتَجَاوَزُهُ.

وَذَهَبَ جَمْعٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ إِلَىٰ جَوَازِ رَفْعِ النَّسَبِ فَوْقَ عَدْنَانَ؛ مُضَعِّفِينَ الْحَدِيثَ الْمُشَارَ إِلَيْهِ، وَلَكِنَّهُمُ اخْتَلَفُوا فِي هَذَا الْجُزْءِ مِنَ النَّسَبِ اخْتِلَافًا لَا يُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَ أَقْوَالِهِمْ.

وَقَدْ مَالَ الْعَلَّامَةُ الْمُحَقِّقُ مُحَمَّدُ سُلَيْمَان الْمَنْصُور فُورِي رحمه الله إِلَىٰ تَرْجِيحِ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ سَعْدٍ، وَالَّذِي ذَكَرَهُ الطَّبَرِيُّ، وَالْمَسْعُودِيُّ، وَغَيْرُهُمَا فِي جُمْلَةِ الْأَقْوَالِ، وَهُوَ أَنَّ بَيْنَ عَدْنَانَ وَبَيْنَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام أَرْبَعِينَ أَبًا بِالتَّحْقِيقِ الدَّقِيقِ.

تَفَرَّقَتْ بُطُونُ مَعَدٍّ مِنْ وَلَدِهِ نِزَارٍ، قِيلَ: لَمْ يَكُنْ لِمَعَدٍّ وَلَدٌ غَيْرُهِ، فَكَانَ لِنِزَارٍ أَرْبَعَةُ أَوْلَادٍ تَشَعَّبَتْ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ قَبَائِلَ عَظِيمَةٍ: (إِيَادٌ، وَأَنْمَارٌ، وَرَبِيعَةُ، وَمُضَرُ)، وَهَذَانِ الْأَخِيرَانِ هُمُ الَّذَيْنِ كَثُرَتْ بُطُونُهُمَا، وَاتَّسَعَتْ أَفْخَاذُهُمَا؛ فَكَانَ مِنْ رَبِيعَةَ (ضُبَيْعَةُ، وَأَسَدٌ)، وَمِنْ أَسَدٍ (عَنَزَةُ، وَجَدِيلَةُ)، وَمِن جَدِيلَةَ الْقَبَائِلُ الْكَثِيرَةُ

الْمَشْهُورَةُ، كَعَبْدِ الْقَيْسِ، وَالنَّمِرِ، وَبَنِي وَائِلٍ الَّذِينَ مِنْهُمْ بَكْرٌ وَتَغْلِبُ، وَمِنْ بَنِي بَكْرٍ بَنُو قَيْسٍ، وَبَنُو شَيْبَانَ، وَبَنُو حَنِيفَةَ وَغَيْرُهَا.

أَمَّا عَنْزَةُ: فَمِنْهَا آلُ سُعُودٍ مُلُوكُ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ فِي هَذَا الزَّمَانِ.

تَشَعَّبَتْ قَبَائِلُ مُضَرَ إِلَىٰ شُعْبَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ: قَيْسِ عَيْلَانَ بْنُ مُضَرَ، وَبُطُونِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ؛ فَمِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ: بَنُو سُلَيْمٍ، وَبَنُو هَوَازِنَ، وَبَنُو ثَقِيفٍ، وَبَنُو صَعْصَعَةَ، وَبَنُو غَطَفَانَ؛ وَمِنْ غَطَفَانَ: عَبْسٌ، وَذُبْيَانُ، وَأَشْجَعُ، وَأَعْسَرُ.

وَمِنْ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ: تَمِيمُ بْنُ مُرَّةَ، وَهُذَيْلُ بْنُ مُدْرِكَه، وَبَنُو أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ، وَبُطُونُ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ؛ وَمِنْ كِنَانَةَ: قُرَيْشٌ، وَهُمْ أَوْلَادُ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ.

انْقَسَمَتْ قُرَيْشٌ إِلَىٰ قَبَائِلَ شَتَّىٰ؛ مِنْ أَشْهَرِهَا: جُمَحُ، وَسَهْمٌ، وَعَدِيٌّ، وَمَخْزُومٌ، وَتَيْمٌ، وَزُهْرَةُ، وَبُطُونُ قُصَيِّ بْنِ كِلَابٍ، وَهِيَ: عَبْدُ الدَّارِ بْنُ قُصَيٍّ، وَأَسَدُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّىٰ بْنِ قُصَيٍّ، وَعَبْدُ مَنَافِ بْنُ قُصَيٍّ؛ وَكَانَ مِنْ عَبْدِ مَنَافٍ أَرْبَعُ فَصَائِلَ: عَبْدُ شَمْسٍ، وَنَوْفَلٌ، وَالْمُطَّلِبُ، وَهَاشِمٌ، وَبَيْتُ هَاشِمٍ هُوَ الَّذِي اصْطُفِيَ مِنْهُ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ فِرَقِهِمْ، وَخَيْرِ الْفَرِيقَيْنِ، ثُمَّ تَخَيَّرَ الْقَبَائِلَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ الْقَبِيلَةِ، ثُمَّ تَخَيَّرَ الْبُيُوتَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ بُيُوتِهِمْ؛ فَأَنَا خَيْرُهُمْ نَفْسًا، وَأَنَا خَيْرُهُمْ بَيْتًا**».

وَفِي لَفْظٍ عَنْهُ: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ فِرْقَةً، ثُمَّ جَعَلَهُمْ فِرْقَتَيْنِ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ فِرْقَةً، ثُمَّ جَعَلَهُمْ قَبَائِلَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ قَبِيلَةً، ثُمَّ جَعَلَهُمْ بُيُوتًا فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ بَيْتًا، وَخَيْرِهِمْ نَفْسًا**».

لَمَّا تَكَاثَرَ أَوْلَادُ عَدْنَانَ تَفَرَّقُوا فِي أَنْحَاءٍ شَتَّىٰ مِن بِلَادِ الْعَرَبِ مُتَتَبِّعِينَ مَوَاقِعَ الْقَطْرِ وَمَنَابِتَ الْعُشْبِ.

هَاجَرَتْ عَبْدُ الْقَيْسِ، وَبُطُونٌ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، وَبُطُونٌ مِنْ تَمِيمٍ إِلَىٰ الْبَحْرَيْنِ فَأَقَامُوا بِهَا.

وَخَرَجَتْ بَنُو حَنِيفَةَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ بَكْرٍ إِلَىٰ الْيَمَامَةِ فَنَزَلُوا بِحُجْرٍ، وَهِيَ: قَصَبَةُ الْيَمَامَةِ، وَأَقَامَتْ سَائِرُ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ فِي طُولِ الْأَرْضِ مِنَ الْيَمَامَةِ إِلَىٰ الْبَحْرَيْنِ إِلَىٰ سَيْفِ كَاظِمَةَ إِلَىٰ الْبَحْرِ، فَأَطْرَافُ سَوَادِ الْعِرَاقِ فَالْأُبُلَّةُ فَهِيتٌ.

وَأَقَامَتْ تَغْلِبُ بِالجَزِيرَةِ الْفُرَاتِيَّةِ، وَمِنْهَا بُطُونٌ كَانَتْ تُسَاكِنُ بَكْرًا. وَسَكَنَتْ بَنُو تَمِيمٍ بِبَادِيَةِ الْبَصْرَةِ.

وأَقَامَتْ بَنُو سُلَيْمٍ بِالْقُرْبِ مِنَ الْمَدِينَةِ، مِنْ وَادِي الْقُرَىٰ إِلَىٰ خَيْبَرَ إِلَىٰ شَرْقِي الْمَدِينَةِ إِلَىٰ حَدِّ الْجَبَلَيْنِ، إِلَىٰ مَا يَنْتَهِي إِلَىٰ الْحَرَّةِ.

سَكَنَتْ بَنُو أَسَدٍ شَرْقِي تَيْمَاءَ وَغَرْبِيَ الْكُوفَةِ، بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ تَيْمَاءَ دِيَارُ بُحْتُرٍ مِنْ طَيِءٍ، وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْكُوفَةِ خَمْسُ لَيَالٍ.

وَسَكَنَتْ ذُبْيَانُ بِالْقُرْبِ مِنْ تَيْمَاءَ إِلَىٰ حُورَانَ، وَبَقِيَ بِتِهَامَةَ بُطُونُ كِنَانَةَ، وَأَقَامَ بِمَكَّةَ وَضَوَاحِيهَا بُطُونُ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا مُتَفَرِّقِينَ لَا تَجْمَعُهُمْ جَامِعَةٌ حَتَّىٰ نَبَغَ فِيهِمْ قُصَيُّ بْنُ كِلَابٍ، فَجَمَعَهُمْ، وَكَوَّنَ لَهُمْ وِحْدَةً شَرَّفَتْهُمْ وَرَفَعَتْ مِنْ أَقْدَارِهِمْ.

أَنْسَابُ الْعَرَبِ مِمَّا عُنِيَ بِهِ الْعُلَمَاءُ، وَصَنَّفُوا فِيهِ التَّصَانِيفَ، وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ النَّسَبَ مِمَّا خَصَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ؛ فَهَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مَنْ يَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَفِيهِ مَنْ لَا يَعْرِفُ فَوْقَ أَبِي أَبِيهِ جَدًّا؛ مَيَّزَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالْإِسْنَادِ وَبِالْأَنْسَابِ، فَمَرْوِيَّاتُهَا مَرْوِيَّةٌ بِالْإِسْنَادِ بِرِوَايَةِ رَاوٍ عَنْ رَاوٍ، وَهُوَ الْعِلْمُ الْمُسْتَطِيلُ الَّذِي خَصَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ.

وَمَيَّزَ اللهُ تَعَالَىٰ أَيْضًا هَذِهِ الْأُمَّةَ بِعِلْمِ النَّسَبِ، وَمَا زَالَتِ الْقَبَائِلُ تَعْرِفُ أَنْسَابَهَا إِلَىٰ يَوْمِ النَّاسِ هَذَا، وَتَحْرِصُ عَلَىٰ تِلْكَ الْمَعْرِفَةِ، وَحَضَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ مَعْرِفَةِ الْأَنْسَابِ، فَقَالَ: «**تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ**»؛ هَذَا أَمْرٌ مَطْلُوبٌ، وَكَانَ مِنَ الْعَرَبِ مَنْ هُوَ بَارِعٌ فِي ذَلِكَ وَحَافِظٌ لَهُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِمَّنْ يَعْرِفُ أَنْسَابَ الْعَرَبِ، وَكَانَ يَدُلُّ عَلَيْهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عِنْدَ الْحَاجَةِ الدَّعَوِيَّةِ إِلَىٰ ذَلِكَ.

سُكَّانُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ فَرِيقَانِ: بَدْوٌ وَحَضَرٌ؛ الْبَدْوُ هُمَ الَّذِينَ يَسْكُنُونَ الْبَادِيَةَ، وَيَرْتَحِلُونَ وَرَاءَ الْعُشْبِ وَالْكَلَأِ، وَيَتَتَبَّعُونَ مَوَاقِعَ الْغَيْثِ وَالمَطَرِ، وَهُمْ يَسْكُنُونَ الْخِيَامَ -وَهِيَ الْبُيُوتُ مِنَ الْوَبَرِ وَالشَّعَرِ-، وَهُمُ الْأَكْثَرُونَ لَا سِيَمَا فِي الشَّمَالِ فِي الْحِجَازِ وَمَا وَالَاهَا مِنْ نَجْدٍ وَتِهَامَةَ؛ وَأَمَّا الْحَضَرُ فَهُمُ الَّذِينَ يَسْكُنُونَ الْقُرَىٰ وَالْمُدُنَ، وَيَسْكُنُونَ بُيُوتًا مِنَ اللَّبِنِ أَوِ الْحَجَرِ، وَمُعْظَمُ هَؤُلَاءِ كَانُوا يَسْكُنُونَ فِي الْجَنُوبِ، الْيَمَنِ وَمَا جَاوَرَهَا وَعَلَىٰ تُخُومِ بِلَادِ فَارِسَ وَالرُّومِ، وَلَمْ يَكُنِ الْعَرَبُ -كَمَا هُوَ السَّائِدُ عِنْدَ الْعَرَبِ أَنْفُسِهِمْ- لَمْ يَكُونُوا قَوْمًا لَا حَضَارَةَ لَهُمْ وَلَا مَدَنِيَّةَ، وَإِنَّمَا وُجِدَتْ بَعْضُ الْمَدَنِيَّاتِ وَالْحَضَارَاتِ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَسَيَأْتِي ذِكْرُهَا إِنْ شَاءَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَبِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com